المجهر الفاضح عن حقيقة
كتاب تاريخ كمبي صالح







إعداد

ذ. سيدي أحمد ولد السالك الكنتي

المِجْهَرُ الفَاضِحُ عَنْ حَقِيْقَةِ

كِتَابِ تَارِيخِ كِمْبِي صَالِحٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

بحمد الله المبدئ المعيد، المالك المنعم المجيد الذي بدأ خلق الانسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسبانا، ذلك رب العالمين، من تفرد بالكمال كماله، وأشرقت الأرض بنور جلاله، من خلق الإنسان، وعلمه البيان، واتخذه خليفة في أسفل الأكوان، نحمده سبحانه حمد مملوك مستعبد، لمالك فرد صمد.

وبالصلاة والسلام على من ملأ الأرض إيمانا، فاستصلح به حقول العقول، وربى به أمة عدولا، تخلقت بأخلاقه القرآنية الحقة، وعلت من بركاته المتدفقة، وشاركت أرواحها الأجساد في ذلك، فجاءت نفوسا زكية، وأجساما سوية، وأرواحا ملائكية، يوافق الحق أحكام عقولها، وتصبوا إلى الجميل رغبات نفوسها، وكانت رحمة للقاصي والداني، والمهادي والمعادي، وأنموذجا حضاريا مثيلا، ومزيجا من الخلق الأمثل، والتعايش الأفضل ، والبناء الأقوى والأكمل.

نستفتح عملنا هذا الذي نسأل الله أن يكون عملا مبرورا، وأن يكون من حيث وقوعه سعيا مشكورا، وأن تزكوا به النفوس زكاة المغفور له، وأن نتسلق به معارج الفضيلة، رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين.

وبعد فقد كان من المقدور الواقع أني نزلت بمطار دبي الدولي بالإمارات العربية المتحدة وكان ذلك في التاسع والعشرين من أبريل سنة 2012 أي الموافق الشهر الخامس من سنة 1433 هـ، وكانت قد تلقفتني يد الضيافة الكريمة من طرف الشريف الفاضل ملاي إسماعيل بن محمد على وهذه مناسبة لإسداء الشكر له جزيلا ـ ولما استقر بي المقام كنت كأي باحث عن عمل أوجد هنا وهناك، وأُستضاف هنا وأضاف هناك، وكان من الأمور الجامعة بين أغلب الذين أزورهم غبا هو كتاب ضخم بعنوان "تاريخ بني صالح شرفاء كمبي صالح " ولم أكد أدخل بيتا إلا وجدت عنده هذا الكتاب، لم أكن منجذبا إلى قراءة هذا الكتاب، غير أني لاحظت أن الكتاب يَكْثُرُ حوله الكلام ويتناقش الناس في شأنه فدعاني ذلك إلى أن أطلع على بعض فصوله وأبوابه، فقرأت منها فقرات كثيرة ولأن تخصصي

الجامعي هو اللغة العربية ولأني درست اللغة العربية بالطريقة الشنقيطية في المحاظر لم يكن مزاجي ليقبل بأسلوب الكتاب من حيث اعتبرت أسلوبه غير رصين، وسبكه ليس قويا، وعباراته تختلف عما أهوى، ثم لحظت أن الأفكار فيه ليست جيدة الترتيب، ولا مسوقة نحو الهدف بالطريقة الفنية، مع أن طريقته في التعبير عن هذه الأفكار لم تكن عندي بالحصيفة، بل إنها لم تكن ملتزمة بأقل ما يمكن من الأدب، هذا مع ملاحظتي لبعض التناقض في بعض المعلومات، فضلا عن ما يفهم من خلال قراءة الكتاب من أمور نفسية ليس هذا النوع من الكتب محلا للتعبير عنها فهي أحوج إلى العلاج بما يمحو آثارها من التعلق بالمطالب العالية من تحصيل رضا الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ منها إلى الكتابة، كل تلك الملاحظات بقيت رأيا شخصيا ولم أجد أي ضرورة لإبداء هذا الرأي بأي طريقة؛ لا مكتوبة ولا منطوقة.

غير أني وجدت في العديد من الجالية سلوكين غريبين على الانسان الموريتاني:

الأول: يتجلى في جلافة وصلابة تعصبية في الآراء ونظرة سيئة للآخرين وتعلق بمسائل الخلاف من العقيدة وغيرها وكلام كثير حول الطوائف، مسائل هي في الحقيقة غريبة على الإنسان الشنقيطي الموريتاني الذي يلتزم بأكبر مذاهب أهل السنة والجماعة في العبادات والسلوك والعقيدة مقتصرا في العقائد على ما اتفقت عليه جميع الطوائف ولا يتعرض كثيرا لمسائل الخلاف لأنها لا تصلح أن تكون عقيدة.

والثاني: يتجلى في امتهان العنصر البشري في البلاد الموريتانية جملة والحكم عليه بأنه مجرد برابرة يدعون أنسابا ليست منهم في شيء.

لكن حضور هاتان الفكرتان كان أكبر في صاحب الكتاب منه في أي شخص آخر ولذلك كان هذا الكتاب قائما على فكرة رئيسية هي إنكار أنساب الساكنة في البلاد عموما والشرفاء منهم خصوصا لكن الكاتب إذ دون ما دونه في كتابه هذا من هذه الأفكار كان يحتفظ في الوقت ذاته ويروج الأفكار المتزمتة المصاحبة لسطحية في التفكير تفضي إلى غرابة في السلوك يكون فيها الحكم سابقا على

التصور، والقول سابقا على التفكير، واللفظ مقدم على المعنى، والاسم دليل على الحقيقة والمبنى.

وفي يوم من الأيام صادف الجمعة نزلت على أستاذ دلني عليه الأستاذ العزيز "الهيبة بن شيخاتي الطلابي" لأتلقى عنه بعض أحكام التجويد كنت أسمع بكنيته (أبو عمر) وقرأت له تقريظا طويلا على الكتاب المذكور ولم أر قبل ذلك له وجها، ولا سمعت له قولا، وبينما أنا في المسجد إذ دخل علي الرجل فعرفته بسمته وسلامه الطيب ووجهه الرحب وقلت في نفسي لقد نزلت بالشيخ الفاضل، صلينا الجمعة ثم دخلنا سويا إلى المجلس فإذا بمؤلف كتاب تاريخ بني صالح وشخصين آخرين، ما لبثت أن تكلم أحد منهم ذكر الصوفية قال الأستاذ الفاضل: الصوفية دين المجوس.

قلت في نفسي: كلمة غير طيبة لا تشبه كلام الصالحين، وحكم غير صحيح لا يضاهي أحكام العارفين، وموقف زائد يشبه مواقف الحاقدين، وإطلاق لسان كفعل الغافلين، كلها لا تطابق حتما اللحية الكثة والشارب المحفي فأين الرجل الذي صلى بنا الجمعة؟، أسفت شيئا لهذا المعنى وبدأ الشيخ يسقط من نفسي ثم ما لبثنا أن جاء في الأخبار نبأ استشهاد العلامة محمد سعيد رمضان البوطي في تفجير بمسجد بدمشق ففرح الجميع لا سيما شيخنا الفاضل وتذاكروه فقال أحدهم صوفي أشعري وأما الشيخ الفاضل فوصفه بالخرافي ولم أكن وأنا أعاين هذه التصرفات لأتذكر إلا الشيطان الرجيم وفرحه بالجهل والجهلاء، وضحكه من عبادتهم، وكراهيته للعلماء وفرحه بموتهم، واستحضرت في الحال جماعة التوحيد والجهاد عندما سيطرت على تيمبكتوا قبل وقت فحرقت المكتبة هناك بما فيها من المخطوطات النفيسة والعلوم الجليلة واستحضرت التتار وأفاعيلهم في مكتبة بغداد حرقا وإغراقا وحضرني قوله تعالى ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ وتذكرت ما أخرجه الخرائطي: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُقْبَةَ النَّيْسَابُورِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَنْبَسَةَ، قَالَ: " قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ (أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ، وَيَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ) [مكارم الأخلاق للخرائطي برقم 391] .

ثم ـ ومن دون مقدمات ـ بدأ الحديث عن المجتمع الموريتاني بأوقح ما يمكن؛ السحر، والشعوذة، الخرافة، البربرة، النذالة، الشرك، عبادة القبور، دعاء الصالحين، وهكذا بدأوا يرسمون في مسامعي الصورة المرسومة في الكتاب المذكور والتي وجدت لها أطرافا في أذهان بعض الموريتانيين ثم قال مؤلف الكتاب "أين فلان لقد ذهب قبل أن نمسح دماغه" وقتها تذكرت قصة صاحب القربان كما ذكرها بن المقفع في كتابه كليلة ودمنة وآنست من جانب ما تكشفت عنه خطابات القوم نار فتنة يوقظونها، وبذرة سوء يبذرونها في عقول البرآء ظنوا لفرط جهالتهم بالضيف إمكان ولوجها في نفسه، وما علموا أنهم قرعوا بابا لا يفتح بطنين الذباب، ولا بتكرير الكلمات، وتغيير العبارات، بل باب من بعده سبعة أبواب لا تفتح إلا لساطع الحجة والبرهان، من حديث صحيح أو قرآن مفسرين على أكمل ما يفسره أولو الألباب، أو سلطان من صريح العقل المسبور وفقا لقواعد الاستدلال المنظور التي قررها جهابذة العلماء من أمتنا أمة المعقول والمنقول.

هنا عرفت من أين جاءت فكرة التكفير وعاينت ثاني شخص يجمع بين الفكريتين (فكرة: التشتيت المبنية على التكفير وفكرة أن المجتمع الموريتاني مجتمع يجمع كل المساوئ) بل عاينت منبع هذه النحلة ومنطلقها ومدير عملياتها وقائد زورقها في مهامه المجهول: شاب ذكي لسن له فصاحة عالية، وقدرة على التعبير عن المشاعر عاتية، على كرم نفس ورقة روح وخفة دم وسماحة طبع مع بناء ثقافي ضحل ذي وجهين:

الأول: نُقِشت رسومه بمعهد ابتدائي ثانوي في مدينة "كيفه" وانتهى بإقامة في المملكة العربية السعودية.

والثاني: رسم نقوشه ما جلبه الرجل على نفسه من تخيل حالة من الامتهان بين المجتمع لا وجود لها من حيث هو حداد في الصناعة وإن كان عربيا في النسب كما يدعي.

فالوجه الأول كون الفكرة الأولى وليس معنى ذلك أن المعهد المذكور يدرس هذا النوع من الأفكار وإنما لأن الدراسة إذا لم تتعمق وتتنوع وتبقى في حدود الفكرة الواحدة والمذهب الواحد والقول الواحد يبقى صاحبها متزمتا لا محالة.

والوجه الثاني: كون الفكرة الثانية حول المجتمع الموريتاني. زاد كُل ذلك بُعْدُ الرجل عن الوطن وتناسيه إياه وانفصاله عنه شعوريا وهكذا تشكل الرجل عموما، فمن حيث المعتقد ففيه صلابة على ما يعتقد أنه فهمه من كتب شيخ الإسلام بن تيمية (والواقع أنه لم يفهم شيئا من كل ذلك) وهذا المفهوم الفاسد لا يجوز في نظر الرجل أن يكون فيه خطأ ولا يجوز فيه تمحيص أو مراجعة وأي حيدة عن هذا السبيل الذي فهمه هو من هذه الكتب ـولو في نصف مسألةـ يكون صاحبه أقل ما يقال فيه إنه مبتدع .

ومن حيث السلوك تجاه الوطن فهو سلوك عدائي حاقد منشؤه ما يعتقد الرجل أنه خطأ المجتمع كله، وأن المجتمع فيه مذنب كله، بجميع طبقاته وعصوره فعليه أن يحترق إذا لأنه ظلمني وظلم طائفتي التي تسمى "بالمعلمين" ولأن حرق المجتمع عمليا بحيث يتلاشا جسديا غير متاح للرجل ولا طاقة له به عمل على إحراقه في قلوب الناس حتى يظهر المجتمع وكأنه كتلة من الشرك والسحر والتخلف والبدع وعبادة القبور والظلم وسوء الأخلاق ورقة الدين ثم نذالة في الأصل النسبي منشؤها الجهالة في الانساب والادعاءات الكاذبة.

لهذا الهدف جند الرجل كل ما يملك وأول ذلك انتحاله للمذهب السلفي؛ فيظهر لك بادئ الأمر وكأنه يذم البدع في الدين والمبتدعين ويحث على التمسك بالسنة فإذا تأملت فيه فوجدته لا يستطيع أن يسكت وقتا عن هذا الموضوع، ولا أن يتجنب الشتم والإقذاع والتهمة و التكفير، والتفسيق والتبديع، ولا يستطيع أن يفصل في أي طائفة ولا أن يتأنى في الحكم ، فهمت أن وراء الدخان نارا ليس فيها من الاتجاه السلفي إلا حقد دفين يذكيه الشيطان كلما خبت ناره بأعواد من الذكريات السيئة والمشاعر الكامنة وزادها سعيرا.

وثاني ما يجند في ذلك ما رزقه الله من الفصاحة في القول، وذرب في اللسان، وكرم في النفس، وخدمة لكل من يزوره ليتعلم منه علم التجويد ـ مثلي تماما ـ فيخلط له ثلاثة دروس في التجويد بخمسة وعشرين ألف درس فيما هو بصدد نشره من تشويه المجتمع الموريتاني غير أن دروس التجويد مختصرة اختصارا وأما الدروس الأخرى فمبسوطة بسطا عجيبا مسهبا طويلا بأسلوبين:

الأول: هجومي ملخصه ما ذكرنا من الاتهام بالشرك والكفر والفسق...

والثاني: استعطافي يبين فيه حالة الامتهان التي كان يعيشها هو نفسه وغيره من هذه الشريحة جميعا فيجعل الأسلوب التالي مبررا للأسلوب الأول لأنه يظهر فيه في صورة المظلوم والضحية.

تظلمــت وجنتــاه وهــي ظالمــة   وطرفه ساحر في زي مسحور

ومعلوم أنه إذا كان الانسان قد سخر دينه الأخص ـوهو مذهبه الذي يرجح- ثم سخر أخلاقه لأمر فإن من المعلوم أن المال هنا سوف يكون رخيصا وأما الوقت فهو الإنسان فلا جرم كان الرجل من أذنيه إلى أخمص قدميه مستغرقا في هذا الموضوع.

كان كل الوقت الذي أمضيته مع الرجل مملوئا بالنقاشات حول قضايا تبين من خلال نقاشها معه انه شخص كان نصيبه من العلم هو مطالعات في كتب الأقدمين أو المحدثين من المقلدين للون من التفكير ولم يكن في دراساته قد اعتمد على الشيوخ.

"روي أن محمد بن محمد سالم كان مقبلا على مطالعة الكتب إلى أن وقف في بعض الكتب على مقولة مأثورة عند الشناقطة : "من أخذ الفقه من بطون الكتب غَيَّر الأحكام . ومن أخذ النحو من بطون الكتب لحن في الكلام، ومن أخذ التوحيد من بطون الكتب خرج من الاسلام ومن أخذ الطب من بطون الكتب قتل الأنام .. ما إن قرأ هذه الجمل حتى نفض يديه من الكتب وشد رحله يطلب المشايخ للأخذ عنهم ."

قال أبو حيان:

إذا رمــت العلــوم بغيــر شــيخ   ضـللت عـن الصـراط المسـتقيم

هذا ولما تحصل عندي من مجموع ما قدمت لك سرده أنها مدرسة قيد الانشاء تعتمد أساسا على تشويه الأوطان، وتجسيم رب الأنام، وتكفير أهل الإسلام، دافعها

في ذلك الحقد الدفين، والكراهية، وتتستر بالاتجاه السلفي، تستر السنور بالدين يوم كان يقضي بين الأرنب والصرد لم يكن بد من أن يسيل القلم بما تماط به الأدران عن وجه وطننا الحبيب، ومجتمعنا الغالي، ويتخلص به الاتجاه السلفي الإصلاحي مما يحاول البعض إلحاقه به من التكفير والتجسيم والتقليد الأعمى، والتقسيم للأمة على وفق الهوى، وهم الذين علمونا كيف ننظر في الأدلة استقلالا عن الأشخاص والمذاهب وكيف نترك الأحكام القضائية للمحاكم ونقتصر على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فأين التبديع والتكفير من هذا يا ترى.؟!

هنا حركت القلم في إنشاء هذا الكتاب مستعينا بعون بالله وتوفيقه في إنجازه، تجدر الإشارة أني إنما أنشئ هذا الكتاب ليس فقط للرد على جسم غريب حادث في الساحة العلمية وإنما أنشؤه كمنظومة دفاع اعتراضية تشكل حصنا حصينا للإنسان الموريتاني ـوهو في الغربةـ من بَالُونَاتِ الأفكار الفاسدة ـوحائمات النحل الكاسدةـ وذلك بما ضمنته من تفصيل للقواعد العامة، والمفاهيم الراسخة في السواد الأعظم من المسلمين، وتفصيل بعض المسائل الخاصة بالبناء الثقافي للموريتانيين، كما قررها العلماء من سلف السلف وحتى خلف الخلف.

وقد تناولت كل ذلك في ثنايا الكلام عن الموضوع الرئيسي ألا وهو الحديث عن كتاب "تاريخ بني صالح شرفاء كمبي صالح " أساسيات مضمونه وطريقة صاحبه وقواعده في إنكار الانساب وما صاحب ذلك من الوقوع في الأعراض ثم انتسابه وادعائه النسب في آل النبي صلى الله عليه وسلم وما اعتمده في ذلك هل له أصل أم لا، وهل تختلف طريقته في إثبات نسبه عن طريقته في نفي أنساب الذين نفا نسبهم، وما خلط بذلك مما يدعي أنه من المفاهيم السلفية وما هي بها.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

الباب الأول:

حول الكتاب مضمونه مصادره و حقائق أخرى

تقديم:

نتناول في هذا الباب تفاصيل قد لا تكون قد خطرت لأحد على بال حول تأليف ومؤلفي هذا الكتاب والأفكار التي وردت فيه ونبين كذلك مدى تمتع هؤلاء الكُتاب بكم هائل من الحقد والكراهية من جهة، ومن تلبس بما هو من هم براء من انتساب في السلفية وادعاء للتدين من جهة أخرى، ومن انخفاض في مستوى التعليم الأكاديمي من ناحية ثالثة، وخلال ذلك نعرض لكل خبيثة يحاول هؤلاء إلصاقها بشعبنا الغالي فنفندها تفنيدا، ثم ننبه إلى مدى القصور العلمي عند القوم ومدى ركوبهم للهوى، وأتباعهم إياه في كل ما كتبوه، وبعدهم فيه عن جادة التحقيق، وتباعدهم فيه عن حال التوفيق، ونفورهم خلال كل ذلك عن السنة النبوية الشريفة وعن طريق السلف الصالح، بل ونشازهم عن نهج التيار الإسلامي عموما، والجماعة السلفية خصوصا.

نبدأ للقارئ الكريم بتفاصيل وافية نستدل عليها بما لا يقبل الشك ولا يستطيع أحد من الرهط إنكاره حول تأليف الكتاب، ومن كتبه، في الفصل الأول. ثم نبين النقاط الممنهجة لتشويه موريتانيا في الفصل الثاني، وقبل ذلك لا بد من تسجيل مواقف خاصة بنا تجعل القارئ الكريم يعرف بعضا من مواقف المؤلف ينفعه في تفهم الأفكار التي يعالج أو يتحدث عنها في هذا الكتاب الصغير.

الموقف الأول: الأمة فوق كل اعتبار.

انطلاقا من قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وانطلاقا من قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ فإنني أحتفظ لهذه الأمة بالآتي:

1. ألا أكفر ولا أبدع ولا أخون منها فصيلا ولا مذهبا ولا طائفة إلا في محاكمة قضائية وبعد صدور الحكم عليه بذلك.
2. أن أراعي رأي جمهورها في المسائل العلمية جميعها لمحل العصمة المشار إليها فيما روي معناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق يعضد بعضها بعضا من عصمة جماعة الأمة.
3. أن أدعم جهود كل الساعين إلى الإصلاح حكاما وجماعات وعلماء وأفرادا عاديين وأن أقف حسب المستطاع أمام كل فكرة من شأنها أن تضر بوحدة الأمة أو تؤدي إلى سفك دم واحد منها أيا كان مذهبه أو طائفته. أليس مسلما؟!

الموقف الثاني: نعم لتمذهب في ضوء الدراسات الاسلامية لا على حساب الإسلام.

إننا كما نحتفظ بالأمة جميعها من فردها العادي إلى الملك والرئيس والأمير نحتفظ كذلك بجميع طوائفها ومذاهبها مادام الانتماء لهذا المذهب أو هذه الطائفة لا يكون على حساب الاسلام والمسلمين أي بمعنى ألا يتصور هذا الشخص أن الاسلام انحصر في تفاريع مذهبه أو أن المسلمين انحصروا في أتباع مذهبه وبعبارة مختصرة أن يسلم ذلك الانتماء من التعصب.

الموقف الثالث: أسباب محنتنا الحالية.

إننا لنعيش منذ عقد على الأقل محنة تتجلى في ذلك الكم الهائل من الناس المسلمين الذي يتجه في بعض أيامه إلى السوق للتبضع وممارسة الحياة وبينما هو يتفحص اللحوم والخضار ليشتريها إذا هو أشلاء تتطاير في السماء وإني لأرى أن هذه المحنة قوامها ثلاثة أمور:

- أولها : الكثير مما كتبه بعض علماء الاسلام بأساليب غارقة في التشدد يحمله على ذلك مراده في تغيير ما يراه منكرا والتشنيع على المخالفين فيقرؤه الحدث الجاهل فيضم الكتاب وفي ذهنه لفحة من اللهب تتلظى من جراء تلك الفقرات وقد يصاب باقتناع كبير أن أولئك الناس الذين كان هذا الرجل يتحدث عنهم ليسوا من الاسلام في شيء عندها يهون عليه أمرهم

حتى إنه ليرى أنهم إن قتلوا لا يكون في الأمر كبير إثم وإني لأقرأ من هذا النوع الأشياء الكثيرة حتى إني لأجد من الكتاب الحديثين يكتب فقرات كثيرة في بعض المسائل الخلافية وهو لا يزيد عن تقمص لشخصية كاتب من علماء القرن الثامن أو السابع أو ما قبلهما يُبَدِّعُ إن بَدَّعَ و يُفَسِّقُ إن فَسَّق ويكفر إن كفر وهكذا.

- ثانيها: حالة من الجهل تسود المجتمعات المسلمة بحقيقة دينها حتى صاروا عرضة لكل صاحب نحلة مهما كانت ضلالته، وحتى صارت المشاعر (لقلة العلم) خفيفة إلى درجة أنها تُحمَلُ على كل موجة، و يؤثر فيها بكل سخيفة، دون أن يكون ذلك مكلفا.
- ثالثها: حالة الفوضى التي تعيشها الساحة العلمية تحت ذريعة الدعوة إلى الاجتهاد والتجديد وتحريم التقليد، حتى إنه بات من الصعب على الانسان العادي التمييز بين العالم الذي تُؤْخذ فتواه وبين المتعالمين الذين لا يميزون بين حي ولا لي حتى إن البعض صار يطعن في كثير من العلوم التي لا استغناء عنها في تكوين الفقيه النابه ومن هنا صار لكل واحد أن يفتي فخرجت فتاوى من التكفير المحض وأما التبديع والتفسيق فهذا أمر ضروري عند هؤلاء المتعالمين بلية الدنيا والدين ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ وانطلاقا من هذه الفتاوى يبيح الأغبياء لأنفسهم ارتداء الحزام الناسف ثم تفجير أنفسهم في ملأ من المسلمين ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

الموقف الرابع: لا محيص أبدا عما أقره علماء الإسلام من علوم في شتى مجالات المعرفة والسلوك وأي تجديد يخرج عن مقتضى هذه القواعد فهو تجديد من وحي الشياطين.

لقد كان للأمة الإسلامية من العلماء والمدارس ما أنارت به العالم في مجال المعارف وقد وضعت للمعرفة نظرية حصينة وأنشأت في ذلك علوما عدة راعت فيها ما اتفقت عليه العقول البشرية ووافقته النقول المنزلة من وحي الله على

الرسل وبذلت فيه من الجهد الشيء الكثير فمن تصور أن يخرج عن سبيلها يأتي بعلم ناضج أو منهج كامل فهو واهم ومغرور أو صاحب بدعة من القول ينشيها أو نحلة في العقول يبنيها.

الموقف الخامس: نرحب بكل فرد أو جماعة أو هيئة أو سلطة على العموم ولا نقبل بما يخالط الجماعة أو الفرد أو السلطة من الدَّخَنِ في سلوكه.

إننا إذ نجل هذه الأمة عامة ونحافظ عليها جميعا لا يعني ذلك إلا تسليما بما أشرنا إليه قبل من عصمة سوادها ومما أثبته علماء الإسلام من أن الجماعة المسلمة لا يمكن أن تجتمع على باطل محض ومع ذلك فإننا نرفض أي مذهب من مذاهب الانحراف في أي جماعة كانت وعند أي فرد كان أو سلطة لا على وجه أننا نُخَونُه أو نتهمه في دينه، وإنما على أساس أن الخطأ يبقى خطأ ومضرا بالحياة عامة ولو تخيل صاحبه أنه ينفعه في وقت ما.

فنرحب بالسلفية دون أن نقبل بالتكفير أو القتل أو ما يؤدي إليها من الفتاوى والأفكار.

نرحب بالصوفية دون أن نقبل بالاهتمام الزائد بالقبور والبقاء عندها أزمانا أو إيقاع الوسيلة أو التبرك على خلاف ما بين الرسول صلى الله عليه وسلم.

نرحب بكل عالم وجهوده الإصلاحية سواء علينا من أي مذهب كان ولا نقبل بأخطائه و لن نعتقد العصمة في أي أحد سوى المعصوم صلى عليه وسلم.

نرحب بأي سلطة تقوم في أي بلد من بلادنا ونحتفظ لها بحق الطاعة والمحافظة على النظام ولا نقبل من أي سلطة أيا كانت ظلما لمواطن ولا فسادا في الشأن العام للمسلمين ولن نتوقف في نصحها وبيان مكامن الخطئ فيها وليس معنى طاعتها عندنا أن نصوت لها أو نؤيدها أو أننا لا نعارضها فهذا شيء عندنا لم يعد داخلا في معنى الخروج على الحاكم.

الموقف السادس: أهل السنة:

أهل السنة عندنا هم السواد الأعظم من هذه الأمة وهم الطائفة التي يجمعها الأصول العامة في المعرفة كما بينتها في نظرية المعرفة في الهامش قبل ومذاهب أهل السنة في الشريعة أربعة هي المذهب المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي ومدارسها في العقيدة ثلاثة الأشعرية والماتوريدية والحنابلة.

وتقرأ القرآن بسبع قراءات متواترة.

ومدرستها في السلوك واحدة هي الصوفية لا نقصد بأي مذهب أهل الجنة ولا أهل النار فإن النار مكان للعصاة الذين لم يعف الله عنهم من أي طائفة كانوا والجنة مكان الصالحين والصديقين والمؤمنين الذين أكرمهم الله من أي طائفة كانوا قال تعالى ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وأما ما يحاول البعض ترويجه من القول بالفرقة الناجية وتأويلها بأهل الأثر أو نحو ذلك فكله تعصب وتمذهب سيء كل أهل السنة أهل أثر وهذا النوع من الكلام الذي يحاول صاحبه تقدير النجاة لنفسه دون غيره هو عينه كلام اليهود والنصارى عندما قالوا فيما حكى الله جل جلاله عنهم في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ ورد عليهم بقوله ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

بعد هذه المواقف أؤكد لك على مسألة لها علاقة بهذه المواقف وتساعد على فهم بعض الأفكار الواردة في كتاب **"المجهر الفاضح عن حقيقة كتاب تاريخ كمبي صالح"** هذه المسألة هي: أن أهم عملية يعتمد عليها أهل النحل والمذاهب ذات الطابع الطائفي هي تحريك المشاعر بطريقة ما إما بإظهار ضعف أو تغيير حقائق معينة يكون تغييرها كفيلا بتحريك الشعور باتجاه معين ونقدم على هذا مثالين أحدهما في المسلمين والثاني في غير المسلمين:

1. الشيعة: عندما استشهد الحسين رحمه الله كبروا هذا الموضوع على مدى مآت السنين ثم كونوا بهذا الموضوع أتباعا كثيرين ليس في قلوبهم من العلم إلا شعور بألم استشهاد الحسين في الحادثة المشهورة خلال هذه العملية الجارفة من التغيير للحقائق جسدوا حقيقة في قلوب جميع الشيعة أو غالبيتهم هي أن تلك الأرض التي سال عليها ذلك الدم قد تنجست فلا يجوز السجود عليها ومن ثم صار أغلب الشيعة يتخذ حجرا للسجود أو منديلا في صورة من تغيير الحقائق لا مثيل لها في التاريخ.
2. اللوبي الصهيوني سيطر على القرار السياسي في جميع البلدان الغربية كل ذلك بعملية نفخ وتكبير لحادثة المحرقة اليهودية التي جرت -على ما زعم- في ألمانيا.

وعلى هذا النحو يسير الكثير من أصحاب المذاهب يقنعون أتباعهم بحقائق لا وجود لها أصلا الدافع لها هو تنفير أولائك الأتباع من الخصوم ومن هذا القبيل ما تراه في الكثير من أوساط الإسلاميين اليوم من النفور من الصوفية والأشعرية والماتوريدية وغيرها من مدارس أهل الاسلام السلوكية والعلمية فإذا سألت أحدهم هل يعرف شيئا عن هؤلاء لا تجد عنده أي علم عن هؤلاء إلا ما كتبه بعض الخصوم في الساحة العلمية لهذه الطوائف من تشويهات يبنيها على خطأ يصدر من عالم وتعجب إذا نظرت في مكتبته وكلامه عن علماء الاسلام فغالب ما في مكتبته من الكتب إما أن مؤلفه صوفي أو أشعري أو ماتوريدي ثم إنه كثيرا ما يتكلم عن العلماء الصوفية والأشعرية والماتوريدية ينقل عنهم العلم ولا يشعر بذلك فيحار الانسان كيف صممت معارف هذا الانسان هذا التصميم بحيث صار أضحوكة لمن يعلم هذا الموضوع جيدا وإذا أردت أن تتعجب من هذا الموضع كثيرا فانظر إلى أسانيد كتاب الله في سند كل من له سند في القرآن الكريم ستجد أن الغالبية من جميع الأسانيد في إجازات المشايخ للقرآن الكريم هم من الصوفية ومن الأشعرية والماتوريدية وكذلك أسانيد الحديث وعلى هذا فإما أن يكون الدين منقول عن المبتدعة وإما أن يكون القوم هم علماء الإسلام وحملة الدين والعلم. فاعجب وقل: اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي.

اقرأ واضحك

حدثنا بعض الإخوة في بيت الشيخ عبد الله المفتي بمكتب الأوقاف بالذيد قال إن رجلا جاء لمكتبة فقال لصاحبها بعني كتابا جيدا فدله على أحكام القرآن للقاضي بن العربي فاشتراه وذهب به إلى البيت ولما فتح عن بعض الفقرات جاء فيها "قال بعض الصوفية " فقام لتوه وجاء إلى بعض الأفاضل وقال له لقد خدعني صاحب المكتبة باع لي كتابا فيه "قال بعض الصوفية " ثم جاء إلى صاحب المكتبة ورمى بالكتاب عنده ثم انكفأ على أشد ما يمكن من الغضب والرجل يراوده على أن يأخذ الثمن الذي دفع عوضا عن الكتاب فامتنع.

وأمثال هذا كثير حتى إنك لتجدهم إذا أرادوا أن يذموا شخصا قالوا عنه إنه صوفي وهذا من بلايا الجهل في العامة، واختفاء التقوى من الخاصة، فنسأل الله العافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

الفصل الأول

الكتاب ـ قصة التأليف

كان الحسن يوم كان بريئا من دين أخلائه الجدد رجلا من الموريتانيين يدّعي الشرف مع عراقة من عرف من آبائه في "فوته" اسمه الحسن بن الشيخ سليمان ويتمتع بذكاء سمح له بالدراسة والتعلم وله حظ وافر حيث نشأ في موريتانيا الحبيبة فحفظ القرآن صبيا شأنه شأن أطفالنا ولله الحمد وتلك نعمة يمنها الله علينا جميعا ونفتخر نحن الموريتانيين بها عليه وعلى جميع أخلائه الجدد الذي دان فيما بعد بدينهم فقلب ظهر المجن لبلاده. استنكر الحسن ذلك الانكار الذي كان يرى من كل من يقول له الحسن "أنا شريف فتاوي" أو "فوتاوي شريف" و قد يكون قد ضم مع ذلك الاستنكار ألما حيث لا يجد لهذه الدعوى قبولا ثم ضم الحسن لذلك كله عتابا على البيظان لاحتكارهم الشرف فيهم دون "اتكارير" كما يقول "عندها توجب علينا ـ يقول الحسن بن موسى بيدي ـ إظهار نسب من نقطع بصحة نسبه إلى آل البيت من شرفاء السودان الغربي عموما والذين منهم في شنقيط خصوصا".

ألف الحسن كتابه الذي هو كتابه الحقيقي، -أعني الجزء الأول والثاني- انطلاقا من هذه الفكرة مجردا من جميع الأفكار الأخرى التي ظهرت فيما بعد في الجزء الثالث والرابع فيوم كان الحسن سويا خاليا من جميع البلايا الفكرية والنزواتية إلا من ادّعاء الشرف ألف كتابه، وهذا الكتاب لا يتضمن شيئا من جميع ما تعلق بتشويه موريتانيا، ولا إنكار أنساب أهلها، فقط يعتب على البيظان ويقول لهم بلسان حاله يا قوم اقتنعوا أنه يمكن أن يكون في الزنوج شرفاء كما أن في البيظان شرفاء وفي هذا الكتاب (الجزء الأول والثاني) يقتصر على بيان نسب صالح ونسبه هو نفسه إلى صالح ثم كمبي صالح وأخبارها وما زعم أنها دولة العلويين في غانة وجاء في ذلك بمائة صفحة مما اعتبره وثائق مخطوطة صورها وجعلها ضمن الكتاب والحق أنها ليست وثائق على شيء إنما هي مخطوطات لا علاقة لها بما يسعى إليه من الربط بين كمبي صالح وصالح بن موسى والمهم أن هذا الكتاب هو كتاب الحسن الذي ألف وقد تابعت فهرس موضوعاته فما وجدت فيها إلا ما يتعلق بمهمته التي حدثني شفهيا أنها أخرجته من البلاد طلبا لما يحققها وسعيا

للدعم المادي للبحث فيها غير أن الحسن ارتد عن هذا الكتاب وهذه الفكرة ردة لا تقل عن ردة العرب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، يذكر أن هذا الكتاب لم يوزع كثيرا كما وزع الجزء الثالث والرابع وإنما توجد منه نسخ قليلة توجد منه نسخة غير مطبوعة بحبكة عادية سوداء طويلة في ورق بحجم (A4) وهو كتاب الحسن الحقيقي.

أقول ومن سوء حظ الحسن أنه ارتبط بالمجموعة التي وصفت في المقدمة وأبرموا معه صفقة خاسرة مفادها -فيما يبدو وتدل عليه القرائن- أن يخلطوا مضمون كتابه وهو شرف قبيلته وذويه بأفكار أخرى هذه الأفكار عبارة عن ظرف سلفي بداخله قطعتان تنتميان لمادة الجمرة الخبيثة إحداهما إلصاق جميع الخبائث بالمجتمع الموريتاني والثانية تقسيم المجتمع الموريتاني وإثارة النعرات القبلية بين القبائل ذات الأصول العربية الحسانية والقبائل ذات الأصول الصنهاجية الحميرية ثم إذا قبل الحسن بهذا العرض قدموا له مقابلا هو مساعدة قيمة في طباعة الكتاب ولأن الحسن محتاج لطباعة كتابه قبل بهذه الصفقة الخاسرة وهكذا خرج الجزء الثالث والرابع من تاريخ كمبي صالح يظن البريء أن هناك كتابا واحدا أجزائه أربعة والحق أنهم كتابان أحدهما ألفه أربعة والثاني ألفه واحد هو الحسن وكل من الكتابين جزآن وهكذا نقض الحسن غزله من بعد قوة أنكاثا وجلب إلى فكرته أفكارا لا هي منها ولا من جنسها فتفاعل الجميع ومن ذلك المخاض خرج هذا الكتاب الغريب الذي هو الجزء الثالث والرابع وبئست المرضعة والفاطمة.

ومن الطريف في الأمر أن الجزء الثالث والرابع ينقض إلى حد كبير المعلومات التي قدمها الحسن في الجزء الأول والثاني مما يصدق ما ذهبنا إليه أنهما كتابان أحدهما ألفه الحسن والثاني ألفوه فضموه لما كتبه الحسن في كتابه فخلقوا من ذلك الجزء الثالث والرابع ولا يعلم الحسن أنه بهذه الشراكة والصفقة الخاسرة أفقد بحثه الأول قيمته العلمية وشرعيته أيضا كما قد أطلعنا من خلال سلوكه في الكتابين أن المعلومات التي يوردها حول موضوعه ما هي إلا خيالات يلفقها ومخادعات لعقول العامة تتلاشى عند أول تأمل فحيث يقول في المجلد الأول إن أجداده هاجروا من دمشق يقول في المجلد الثاني إنهم هاجروا من خراسان وغير ذلك كثير مما سوف نبينه في تفاصيل هذا الموضوع.

نظرة مجهرية:

يحاول الحسن حسب ما اكتشفنا من سلوكه في تأليف كتابه وكذلك ما يَرْشَحُ به إناء قلبه في المخاطبات بل بالأحرى في المهاترات التي يقوم بها معنا ومع الآخرين إنه يحاول أن يخلق شرخا بين القبائل ذات الأصول العربية وبين القبائل ذات الأصول الصنهاجية وله في هذه القضية دافع ووسيلة وهدف.

أما دافع الحسن أو دوافعه فمنها أنه زنجي عاش بين المجتمع العربي ولعله وجد في نفسه كما يجد الغريب في نفسه بين المخالفين له في العرق أو الثقافة ولم يحقق من وسائل الرفعة ما يفوق به أقرانه من المجتمع الذي يعيش معهم، فبقي الحسن لا متفوقا بالمميزات التي تجعل المجمع يرفعه بغض النظر عن عرقه ولا من جنس المجتمع الذي هو منه فينال الاهتمام الذي يناله الشخص بين ذويه وعشيرته بغض النظر عن مؤهلاته، ولأن الحسن إنسان طموح على ما يبدو جاء بمحاولة لتحقيق هذه الرفعة التي هي أحوج ما يحتاج إليه الحسن و سنتعرض لها فيما يأتي.

ومن دوافعه الجانبية أيضا: ذلك التدين الذي تلقاه الرجل لا على سبيل السلوك والهدي القويم، ولكنه تدين في صورة انجذاب إلى بعض الآراء والمواقف الغارقة في التشدد ضد بعض المظاهر الفاسدة، من أبرزها التمييز العنصري الذي يعاني منه الرجل، لكن هذا المرض الذي هو أساس جميع التصرفات عند الحسن بن موسى بيدي وعند خليله أبي عمر بن اقريبيز، لا يملك أحد منهم الجرأة للتعبير عنه بشكل واضح ومباشر وصريح، فهم إنما يخلطونه ببعض المسائل الأخرى فيتخذونها ستارا له يتحدثون عنها وهم ينظرون من طرف خفي ويقصدون إلى حقيقة المرض، لكن المستور المدرج بين هذه المفاهيم الأخرى سيظهر عن قريب إن شاء الله في صورة مؤلفات تعبر عنه بشكل صريح وأنا والقارئ في تحقيق هذه الدعوى على هذا الشرط إن لم يخرج عن هؤلاء الرهط من المؤلفات ما يصرحون فيه بهذه العُقَدِ التي حددتها فأنا كذاب. وذلك بعد أن اكتسبوا جرأة من خلال نشر هذا الكتاب الأول فهو بمثابة فرقة استطلاع ومن هنا فلا يَهُمَّنَّكَ ما يتحدث عنه القوم من القبور والتصوف والتشيع والشرك ونحو ذلك فكل ذلك أمور لا تهمهم في شيء إنما يتألمون لواقعهم بالطريقة الخطأ.

وأنا من هذه الناحية معهم في ذلك تماما، وأرجو أن يكون المجتمع الموريتاني خاليا من جميع مظاهر التمييز العنصري، والعنف الديني والتطرف المعرفي، وكل البلايا الفكرية و السلوكية.

ومن هذا الدافع انطلق الحسن بن موسى بيدي لينتقم، ومن حيث إن المنتقم إنما هو شخص متألم يريد أن يؤلم من آلمه فهو لا ينظر كيف يؤلم فإن تسنى له أن يؤلم من خلال فتنة شعواء يوقظها أو فرقة هدامة يخلقها فإنه يفعل ودون أدنى وَخْزَةِ ضمير، ولا حرج عليه حسب دين الانتقام الذي تأتي أحكامه مباشرة من وحي الشيطان.

وأما وسيلة الحسن في تحقيق هذا الغرض الخبيث فهي أن يظهر نفسه من خلال كتابه هذا واقفا وقفة المدافع عن أخواله ـ الذين اختلقهم كما اختلق نسبه من الأب ـ من بني حسان وأعمامه من الزنوج وفوق ذلك يظهر على أنه واقف في وجه البدع والتشيع والتصوف الباطني فأما أعمامه فيجعلهم شرفاء من حيث لا يحتسبون وأما بنو حسان فيبين نسبهم الجعفري وليس في ذلك جديد أصلا وأما من الناحية الدينية فيحاول أن يقول إن المجتمعات العربية الممثلة في قبائل بني حسان لما لم تكن مشتغلة بالجانب المعرفي وكانت المعارف تكاد تنحصر في القبائل ذات الأصول الصنهاجية فإن القبائل الصنهاجية استخدمت ذلك المستوى الثقافي في سَتْرِ جميع المعلومات التي تتعلق بكل ما من شأنه أن يظهر شأن العرب أو الشرفاء من الزنوج وهم بنوا صالح كما يقول الحسن بل إن أستاذه أبا عمر بن اقريبز لينص على أن أصحاب العلم والمعرفة في البلد حريصون على ألا يصل الدين الخالص إلى الناس جميعا ـ كما سننقله عنه بحرفه إن شاء الله- في إشارة إلى احتكار المعارف والقيم الدينية فيهم دون من سواهم ويرى الحسن أنه إذا قرر في نفوس قراء كتابه هذه الفكرة الكاذبة تماما تمكن بعد ذلك من جذب جميع القراء العرب إلى الاصطفاف في صف ضد الخصوم الموهومين وكذلك جميع القراء ممن يدعي الحسن أنهم شرفاء الزنوج ثم جميع المتدينين من أفراد الجماعات الاسلامية وهكذا يشكل حلفا قويا ضد حلف آخر في البلد ثم إنه يشعل هذه المفاهيم بوسائل أخرى منها القول بأن جميع من يدعي الشرف في هذه البلاد مجرد أدعياء كذابين يتخذون النسب الشريف وسيلة للتأثير على المجتمعات لقيادتها بما

في ذلك المجتمعات العربية الحسانية من خلال الانسجام في طرق صوفية ومذاهب دينية.

ومن هذه الوسائل القذرة أن جميع مؤرخي البربر على حد تعبيره يكتمون كل المعلومات المعروفة عن أنساب الناس ويزيفون أنسابا للشرفاء، وخلال هذه العملية يقرر الحسن، أنتم أيها العرب شرفاء وأنتم أيها الزنوج شرفاء أما هذه القبائل الأخرى فما هي إلا بربر وقد لا يكون لها أب على ما ذكر بعض المؤرخين وما هم إلا دجاجلة باطنيون يخدعونكم بالتدين وعلماء كعلماء اليهود يكتمون ما أنزل الله من الكتاب والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب ثم يخلق الحسن بهذه المعلومات حنقا عظيما وما هو إلا الحقد الدفين الذي يحاول صاحبه أن يوقع الفتنة بين المسلمين بل ما هو إلا ملعون كما في الأثر (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها).

لكن الحسن ما دفعه إلى هذا التفكير إلا القرين وبئس القرين وإلا الجهل المطبق بحقيقة هذا المجمع الموريتاني وبتاريخه النير لا يعرف الحسن أن الأحلاف العسكرية أيام (السيبة) كانت تتكون من الجميع دون استثناء وكانت حقيقتها أنها ولاء سياسي بحت لا يُنْظَرُ فيه إلا إلى العهود والمواثيق ولا يعرف الحسن أن غالب الحروب التي جرت في هذه البلاد بعد السيطرة العربية عليها إنما كانت تدور بين العرب أنفسهم وأن جميع العلماء كانوا يتوزعون كل حسب حلفه ورأيه في الفتنة القائمة بين أي فريقين لكن هذا لا يهم الحسن إن الحسن إنما يملي عليه الشيطان فصدق عليه ظنه فاتبعه في عمياء مضلة ليخلق بذلك شعواء من الفتنة.

أما هدف الحسن في كل هذا فلا يزيد على شفاء نفسه من هذا المجتمع الذي عاش فيه الحسن دون كبير شأن ولعله يحصل له بهذا السعي رفعة أو حظوة عند بعض الناس.

لكن زميل الحسن في هذه المهنة القذرة قد ذهب إلى تفكير آخر فحيث نظر الحسن إلى الأصول النَّسَبِيةِ فإن أبا عمر بن اقريبيز نظر إلى اللون ليتخذه موجا عاتيا موصلا إلى فتنة حقيقية أساسها العنصرية القائمة على اللون ولا يُتْعِبُ نفسه في التفكير كثيرا ليكتب كتابا أو غيره إنما فقط يتمنى أن لو قامت فتنة بين السود والبيض في موريتانيا أقول للقارئ الكريم والله إنه لا يبلغ أبو عمر بن اقريبيز في

نفسي بقدر ما أُكْذِبُ الله في شأنه لقد تمنى أمامي وربما كان أمام جماعة من الشباب أن تقع فتنة بين العرب البيض والعرب السود في موريتانيا "ليعرف البيظان عاقبة أفعالهم" كما هو نص عبارته.

إني والله لأتعجب من هذه اللحية الكثة التي ينبعث من خلفها إعصار فيه نار من الحقد والكراهية ويتمنى صاحبها فتنة المسلمين . سامحك الله يا أبا عمر ما أبعدك من التقوى في هذا الوطن وفي أمة الإسلام إنك والله متدين عجيب.

لكن الأستاذين العجيبين إنما أخذا هذا المنطق الصدامي المتشنج من أصولهما المعرفية فإن مدرستهم تصادم بين كل شيء؛ فتصادم بين العقل والنقل، وبين الشرق العربي والمغرب العربي، وبين الشيعة والسنة، وبين الصوفية والفقهاء، وبين الفقه والتصوف، وبين الحديث والفقه، وبين علوم اللغة وعلوم التشريع، وبين العقيدة والشريعة، وبين رواة الحديث وفقهاء الحديث، بين المالكية والحنابلة، وبين الأحناف والمالكية، وبين الشوافع والأحناف، وبين الزيدية والشوافع، وبين الاثنى عشرية والوهابية، وبين كل شيئين في هذه الدنيا، إن الصِّدام عندهم مسألة أساسية بامتياز.

وهل تدري ما الأصل في هذا التفكير إني أجيبك بسر بالغ فلا تقل إنها الهمجية واللاحضارة.

أما تفكير الأستاذ أبي عمر بن اقريبيز حسب ما صرح به أمامنا فهو يريد أن يحشد الدعم لفكرة مفادها أن شريحة "الصناع" مهمشة في المجتمع الموريتاني وأنه مورس عليها ظلم عجيب رهيب حسب تهويلاته تماما وبما أن هذه الشريحة تتوزع بين القبائل جميعا فإن هذا بالنسبة له يشكل تحديا فهو يحاول أن يكون زعيما مخلصا وقائدا ملهما كما يقولون بحيث يجمع شتات هذه الشريحة المهنية ويلفت عقولها إلى حالة الاضطهاد التي يزعم هو أنها واقعة ليتخذ منها وقودا لجذوة رئاسته وزعامته التي يفكر أن تكون قائمة على أساس ديني فيما يظهر على هيئة الرجل الخارجية.

وتتلخص مفرداته المعرفية التي يُحَمِّلُ بها كلَّ قادم عليه من شريحة الصناع أو غيرهم في :

- نحن "الصناع" هم أكثرها ذكاء وأعظمها عقولا وأوسعها خبرة فكيف يكون المجتمع يضطهدنا على هذا النحو.
- نحن الذين خدمنا المجتمع في جميع احتياجاته صنعنا الأقتاب وبرينا الأوتاد وصنعنا السلاح الأبيض والبنادق وجهزنا الذخيرة للدفاع والهجوم لكن المجتمع الموريتاني جازانا جزاء سنمار.
- إن المجتمع الموريتاني يقول فينا بكل نقيصة ويتهمنا بكل خبيثة يقول فينا "لا أصل لهم" "أصلهم يهود" "أصلهم من "روثة حمار" "لا خير في الحداد ولو كان عالما". ويجمع الكثير من هذه المقولات التي تجري على ألسنة السفهاء ليقول إن المجتمع الموريتاني يلصقها بهذه الشريحة وهذا في الحقيقة لا أًصل له إن المجتمع الموريتاني إنما تمثله الدولة والسلطة الموريتانية وهذه يستوى في ميزانها الصانع والشريف وغيرهما ولا أثر لهذا في ثقافتها ثم إن هذا النوع من العبارات التي تتناقلها العامة لا يتناقلونها في هذه الشريحة وحدها فإن أهل الناحية الغربية يقولون في أهل الناحية الشرقية إنهم كباش لا عقول لهم فيرد الشرقيون بأن الغربيين جبناء و كل أهل ناحية تتهم الأخرى بشيء هو في حقيقته مزاح يجري على ألسنة العامة تشترك فيه القبائل والجهات والشرائح المهنية، و ما هو إلا كما يقول بن زيدون:

كـأني لـم أشـهد لـدى عـين شـهلة　　　نـزال عتـاب كـان آخـره صـلحا
مشـاهد جانيهـا التجنـي فـإن مشـى　　　سـفير خضـوع بيننـا أكـد

وأما الاضطهاد فهناك شرائح كبيرة من المجتمع وقع عليها ظلم في فترات معينة وظروف دقيقة ربما كانوا أحق بهذا الكلام من أبي عمر بن اقريبيز .

إن المجتمع الموريتاني يمثله بعد السلطة القائمة الدعاة والعلماء والقادة والأعيان في البلاد وهذه الثقافة لا توجد أيضا في هذه الطبقة وأما ما يدندن أبو عمر حوله فهو كله عبارة عن كلمات تطال كل الناس في هذه البلاد وهي تعبيرات تصدر في المزاح وليست معتمدة في المعارف ولا في أي سبيل جِدِّي.

من هذه المنطلقات لا يرى أبو عمر بن اقريبيز حرجا في أن يَصِمَ المجتمع الموريتاني بكل القبائح انطلاقا من هذا التأويل الفاسد وهو أنه منتقم ومعاقب بمثل ما عوقب به فهل يوافقه الصناع على هذا التفكير؟ الجواب لا وألف لا إن المكانة التي يحتلها الصناع اليوم في موريتانيا مكانة مرموقة حيث أمسكوا بوظيفة الحفاظ على الآثار المادية للثقافة الموريتانية وهذه وظيفة لا تضاهيها إلا وظيفة العلماء في بناء الحضارات فاخسأ يا أبا عمر بن اقريبيز فلست نزيها فيما ترمي إليه من الفتنة والشقاق.

وأما ما يُمَخْرِقُ به الحسن من تقسيم المجتمع واللعب على وتيرة ما ثبت في أذهان العامة من انقسام المجتمع الموريتاني إلى زوايا أهل علم وعرب أهل سلاح فإنها محاولات فاشلة مبنية على معلومات خاطئة فإنه ليس المقصود بهذا التقسيم قيامه على العرق وإنما تقسيم قائم على أساس وظيفي للقيام بأفضل قيمتين مترابطتين لا تستغني إحداهما عن الأخرى فإن في الزوايا الكثير من العرب كما أن في القبائل الصنهاجية الكثير من القبائل ذات الاهتمام العسكري حتى تكاد تتفوق فيه على القبائل الحسانية المعقلية أشهر من اشتهر بهذا الموضوع، وهذا ما ترجمه المجتمع في ثنايا كلامه المتداول فنجد بعض القبائل تمجد نفسها بمقولة "أيد في الكتاب واكراع في اركاب" أي يد في الكتاب ورجل في الركاب. وهو ما ترجمه بعض الشعراء في قوله:

أعز مكان في الدنيا سرج سابح   وخير جليس في الزمان كتاب

الفصل الثاني:

جولة في الكتاب

جولتنا في هذا الكتاب تقتصر على الجزء الثالث والرابع لأن الجزء الأول والثاني بالنسبة لنا كتاب جيد لم يخالطه ما ليس منه وليس فيه تكفير للموريتانيين، ولا جناية على المسلمين، ولأن الكلام ليس مع الحسن وحده ـ كما هو مبين في المقدمة ـ فإننا نعقد هذا العنوان لبيان من أين جاء التدخل في كتاب تاريخ كمبي صالح لينتقل من كتاب يحقق فيه رجل نسبه ويبحث عنه إلى كتاب تُشَوَّهُ فيه الأوطان وتكفر الناس بناء على تمخرقات من التدين الجاف والانتحال الكاذب لاتجاه سلفي وكل ذلك تلبية لرغبة داخلية يخلقها الحقد في نفوس لم يخامرها من التسليم لرب العالمين في القضاء والقدر مثقال ذرة.

يبدأ هذا الكتاب بتقريظ للكاتب الصحفي حمود بن المصطفى بن محمد آل سالم وإذا صح أن يقال إن في الجماعة واحد يصدق فيه أنه يستطيع أن يعبر ويكتب عن شيء ما فهو هذا الصحفي بالذات وما سواه من الجماعة كلها ففي أساليبها من الضعف والركاكة ما لا يخفى على أحد بيد أن هذا المقرظ ليس إلا صحفيا في الحقيقة كان عليه أن يكون دقيقا على الأقل عندما يقول "الشريف صالح ملك كمبي صالح" فهذه جرأة لم يستطع الحسن نفسه أن يقول بها فلا وجه أبدا للتقريظ إذا كان متضمنا لمعلومات ما جاءت في الكتاب المقرظ اللهم إلا إذا كان تقريظا لرجل لم ينظر فيما قرظ ولا لماذا يقرظ أصلا. نلاحظ أن المقرظ إنما أراد أن يقول كلاما داعما فقط لهذا الكتاب خصوصا ما يتعلق منه بإثبات نسب هذا الفصيل من الموريتانيين يدل على ذلك عندما يقول "فكانت له من سعة العلم والورع وحصافة النظر وقوة العزيمة ما هيأه من فضل الله للقيام بأداء هذه المهمة التاريخية النبيلة" أقول لهذا الصحفي الكريم إن سعة العلم تدفع إلى العمل والتأليف والبيان ولا تدفع إلى تعشق الأنساب لأنها تغني في ذاتها عن أي عز أيا كان حتى الانتساب للنسب الشريف لا يساوى رفعة العلم.

وأما الورع فلا يدفع إلى إنكار أنساب الناس ويمنع الانسان مطلقا من أي ادعاء لا يتيقن منه يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام) واقتحام الحسن لشبهة

انتساب في البيت النبوي أساسها كلام لبعض المتأخرين كله عبارات من الشك مثل "يقال" و"يوصف" و"يدعون" لا شك أنه أمر ينافى الورع.

لو كان الحسن ورعا ما تحدث أبدا عن هذا الموضوع ولأنساه خوفه من الله انتسابا في آل البيت بما لا يفيد الوهم فضلا عن الظن والعلم.

أما أن يخلط الحسن دعواه التي لم يأت لها بدليل يعول عليه بتكفير الموريتانيين وشتمهم وتصويرهم بصورة الشيطان الجامع لكل القبائح فلا أظن أن أحدا بعد ذلك يصفه بالورع إلا إذا كان مجنونا.

وعلى العموم فإن الحسن رجل مسلم يحتاج لمزيد من العلم والسلوك نسأل الله له العافية ولجميع المسلمين.

ثم يأتي دور المهندس القائد الكبير لجميع تلك الأفكار السيئة بتقريظ وصفوه بأنه عبارة عن رحلات وتجارب أبي عمر بن اقريبيز وما استخلصه منها من الذكريات والعبر"، والحقيقة التي لا غبار عليها أن هذا التقريظ هو المقدمة الحقيقية للكتاب، لأنه متضمن لجميع مواده، وهذا ما يدلني حتى أكاد أجزم أن المؤلف الحقيقي للجزء الثالث والرابع هو أبو عمر بن اقريبيز، فإذا لم يكن قد خطه بيده فإن جميع أفكاره وضعها بذهنه المصاب بداء الحقد. وفي هذا التقريظ يظهر لك أبو عمر بن اقريبيز كما هو عندما وصفته في المقدمة، فهو في هذا التقريظ يعبر عن نفسه رغم محاولاته الجادة في التخفي وراء الكثير من المفاهيم المثالية، والآيات القرآنية التي يوردها وكأنه داعية، والحق أن كل ذلك إنما هو تعبير عن شعور نفسي نابع من حالة الاحتقار التي زعم أبو عمر بن اقريبيز أنه عاشها، حالة الاحتقار المزعومة هذه أملت على الرجل كل حياته وتصرفاته، حتى إن انتحاله للمذاهب وانتقاده لها نابع من تلك العقدة ولو كان أبو عمر بن اقريبيز على الحال التي يُظهرها من التدين لخر راكعا وأناب، لكن الشيطان أنساه ذكر الله فلبث في تأمل عُقْدَتِهِ وتفاعلها في نفسه والشيطان يزين له من بين يديه ومن خلفه؛ يغريه بالمؤمنين تفسيقا وتبديعا، ويبسط لسانه بالسوء على الصالحين تكفيرا وتقريعا، وهذه العقدة يبدأ الرجل بها في هذا التقريظ؛ لا من خلال التصريح بها مباشرة بل من خلال بيان كون الأسباب التي أدت لها ليست مشروعة، فيبين بدأ خلق الله للإنسان وأن الناس سواء، إلى ما هناك ثم تغلبه العقدة لتطفوا على السطح

فيقول "ومع ما تواتر وتكاثر واشتهر في هذا الأمر من نصوص الوحي كتابا وسنة إلا أننا ما زلنا نرى الناس يتعالى بعضهم على بعض ويحتقر بعضهم بعضا وإنني هنا أذكر أمورا عايشتها" هنا بعد هذا التصريح بهذه العقدة يظن القارئ أن أبا عمر بن اقريبيز سيبدأ بشرح كيف عايش تكبر الناس بعضهم على بعض وتعاليهم لكن أبا عمر بن اقريبيز يفطن أن العقدة عند ذلك تظهر كثيرا فَيُقْلِبُ الموضوعَ من التعبير عن ألم التعالي والاحتقار إلى هجمة وردة فعل يتحدث فيها عن المجتمع الموريتاني ويختصره في أمور ثلاث :

الأول: ذكر كرامات من يسمونهم صالحين ـ على حد تعبيره طبعا ـ.

الثاني: مجالس الرقى والتمائم والجداول.

الثالث: ما يتعلق بالتصوف والباطنية المقيتة.

هذا هو التصوير الذي لا يفتأ أبو عمر بن اقريبيز يحاول بكلامه الشفهي أن يقدمه عن المجتمع الموريتاني، ولا يزال لسان أبي عمر بن اقريبيز رطبا من هذا الذكر حتى الآن، نسأل الله أن يشفي قلبه إنه سميع مجيب.

أبو عمر بن اقريبيز في هذه الفقرة التي قدمنا أديب جدا، وطيب الخاطر، وجيد الألفاظ، وليس هو أبو عمر بن اقريبيز الحقيقي؛ أبو عمر بن اقريبيز الحقيقي يكشف عن رأيه تماما إنما في الصفحة الثالثة عشرة حيث يقول "عندها تبين لي أن المجتمع الموريتاني مجتمع قائم على ثلاث ركائز:

الركيزة الأولى: التصوف الانحرافي الباطني ..."

الركيزة الثانية: حب الظهور والتعالي على عباد الله (هذه هي العقدة تطل برأسها هنا أيضا).

الركيزة الثالثة: ادعاء الأنساب وتعلم الشعوذة والسحر واعتبار ذلك دليلا على كبر خيمة الأب...".

هذا هو أبو عمر بن اقريبيز على حاله ولعل القارئ الكريم يرى أني كنت دقيقا عندما تحدثت على البناء الثقافي للرجل وعن ما يصور به الوطن الحبيب.

هذه نظرة أبي عمر بن اقرييبز العامة للمجتمع الموريتاني لكن ماذا عن التفاصيل: يقول أبو عمر بن اقرييبز: الفقهاء الموريتانيون "لا يعرفون من الفقه إلا آراء الرجال وتفريعاتهم واختياراتهم معرضون عن فهم القرآن رغم حفظهم لنصه وإحاطتهم بعلوم العربية.

"لا يعلمون أن هناك علما اسمه علم السنة ودراستها وزادهم بعدا عنها تجذر الأشعرية المقيتة والتأويل السافر وتجذر الجدل وعلم الكلام."

يقول أبو عمر بن اقرييبز" ... و حرصهم على أن لا يصل الدين الخالص الصافي إلى جميع مكونات المجتمع".

الصوفية في موريتانيا: يقول أبو عمر بن اقرييبز "مع أنني أعلم أن كل الصوفية ببلدنا كذابون ودجالون وسحرة خبثاء دون أي استثناء ودون أي ريب في ذلك".

ثم يعرج الأستاذ أبو عمر بن اقرييبز إلى قضية الأنساب وكيف أقنعه النسابة الحسن الذي يصفه بأنه لا أحد أعلم منه في هذا المجال بأن جميع من في موريتانيا ممن يدعي الشرف عبارة عن أدعياء ما عدا قبيلة بني صالح المسماة بـ"كن "وأن موريتانيا لا يسكنها في الأصل إلا الزنوج والبربر ثم دخل بنوا حسان بعد ذلك.

ثم إني أتذكر الكتاب الأول للحسن وأنه لا يتضمن شيئا من هذه الفكرة فأقول ليت شعري من... أقنع من ؟ إن اللائح الذي دل عليه العقل أنك أنت الذي أقنعته هو وليس العكس.

يختم التقريظ بما يشبه قصة "برز الثعلب يوما" فيوجه نصيحة للدعاة والباحثين وغيرهم هذه الصورة هي التي أملاها الشيطان من خلال الحقد الدفين على الأستاذ أبي عمر بن اقريبيز عن موريتانيا وأقنعه أيضا أن ينشرها نشرا ونحن نتحدث عن موريتانيا الحقيقة في ما يلي وقد اكتفينا في الرد المباشر على أبي عمر بن اقريبيز في هذه المزاعم على التعليقات في الحاشية أسفل الصفحة فلتنظر هناك[1].

---

(1) :

أولا: موريتانيا المجتمع ليست موريتانيا في حاجة لمن يقسمها إلى عرقيات وجماعات و شعوب لأن الوقت الراهن والعصر الحديث في غنى عن هذه القضية جملة وتفصيلا فقد حان وقت الدولة وانتهى بنا عهد التكتلات والأحلاف العرقية القبلية والدويلات والفوضى هذا أولا.

ثانيا: إن لموريتانيا من الباحثين والمؤرخين المحققين الذين يحددون أنساب الموريتانيين عبر بحوث علمية محترمة رصينة ليس الدافع وراءها حقد دفين ولا عقدة نفسية ولا نزوة تمسلفية من الجهالة والتدين النزقي .

والمهم أن موريتانيا دولة عربية ضمن دول المغرب العربي لسانها عربي وسكانها عرب في الغالب ودينها الإسلام وفيها أقلية زنجية، وفيها جميع أصناف العرب فيها من آل البيت بيوتات وفيها قبائل قرشية ليست من آل البيت وفيها قبائل حميرية.

نحن في موريتانيا نفخر بكل أصل من أصولنا العرقية والقبلية سواء علينا تلك الصنهاجية أو العربية أو القرشية أو الزنجية وكل عندنا في مقام واحد ومن لا يفتخر بأصله لا شك أنه مريض وأما تخيل أن هناك أصلا غير شريف فهذا وهم لا أصل له وإنما هي قيم تحصل لبعض الناس ومكاسب تحصل لهم عادة من أفعالهم. صحيح أن هناك النسب النبوي وهو نسمة مباركة لا تنقطع وشرفها من الله إذ شرف أصلها بالنبوة وجميع المسلمين يحترم هذا الأصل ويجله وذلك من أمور الإيمان ودلالة على الهدى والدين إذ إن تعظيم هذا النسب فرع عن تعظيمه صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وهو من صميم الإيمان فليس عبادة ولا إشراكا ولا قريبا من الإشراك وتقديم أهل البيت في كل عصر وفي كل مصر أمر مألوف بين المسلمين بل إنه هو الذي ينبغي إذا لم يمنع منه مانع.

وهل في موريتانيا أدعياء يكذبون في أنسابهم؟ نعم وآخرهم الحسن بن موسى بيدي كما أن فيها لصوصا في السجن وإرهابيون أيضا وفي كل مجتمع من يدعي نسبا ليس له وفيه نوادر وشواذ ولا يحكم عليه بها في الظروف العادية لكن الحقد يكبر الصغير والسيئة في ميزانه بعشر أمثالها؛ ألا ترى كيف اختصر أبو عمر بن اقريبيز المجتمع الموريتاني الذي يعرف القاصي والداني أنه أسطورة في العلم والمعرفة والشعر والدين والتوازن والكرم وفهم الاسلام وعدم التطرف يختصره

أبو عمر بن اقريبيز في الشعوذة والسحر والتصوف المنحرف وادعاء الأنساب؟ هكذا تكون أحكام الحاقدين إنهم مرضى حقا.

ثانيا: موريتانيا البناء الثقافي:

لقد كانت بلادنا ولله الحمد قد عرفت إشعاعا علميا باهرا أعني في المعارف العربية والاسلامية وكان لرجال هذه الصحراء اليد الطولى في هذا المجال فرسخت في بلادنا أهم المدارس الموجودة في العالم الإسلامي عموما فكان لأهل هذه البلاد ترتيبا ثقافيا سارت عليه المؤلفات في مبادئ العلوم الاسلامية فتجد الكتب مصدرة بالعقيدة على منهج الإمام أبي الحسن الأشعري ثم تليه العبادات على المذهب المالكي ثم يختم بخاتمة في التصوف على نهج الإمام الجنيد وهكذا دأب الشعب في هذه البلاد منذ قديم الزمان جامعا بين العقد الصحيح والشرع الفسيح والسلوك القويم ليكون بناؤه الثقافي الاسلامي على هذه الركائز الثلاث؛ العقيدة مقررة مسائلها وفقا لمناهج الأدلة العقلية والنقلية متجنبة من المنقول ما لا يفيد العلم ومن المعقول ما ليس مسبورا وذلك لأن العقيدة هي رأس الحربة في الصراع الثقافي والنشاط الدعوي فيلزم أن يكون من أدلتها ما يشترك فيه المسلم وغيره ليكون ذلك أداة لنقلها إلى العقول الأخرى وتعديتها إلى الشعوب جميعها لمحل التساوي في الدليل العقلي.
ثم العبادات على المذهب المالكي المشهور.
ثم بناء السلوك وفقا لما توصل إليه رجال التصوف السوي من تجارب في هذا المجال فجاء الانسان الموريتاني كما ينبغي أن يكون عليه الانسان المسلم ثم كان من الأمر أن جاء من لا يعرف أيا من هذه الثلاثة فصار ينكر كل شيء لا يلائم هواه جريا على قاعدة "من جهل شيئا عاداه " فقدم رزمة من الأفكار التدميرية أهمها أن التصوف شرك وأن التمذهب بدعة وأنه يحق لكل إنسان أن يجتهد ويفتي بما يرى وأن المسلمين مجموعة من الطوائف جميعها في النار إلا واحدة الشيعة كفار، والصوفية مشركون، الأشعرية الماتوردية مبتدعة، الجماعات الإسلامية خوارج، السلفيون مارقون، وهكذا لا يسلم بشر ولا حجر ثم إنه هذا صبح الكلام في العلوم الاسلامية منحصرا في أربع كلمات هي الشرك، إما الأصغر وإما الأكبر والكفر إما المخرج من الملة أو الذي يدخل النار، والبدعة والنار و فأما الشرك والكفر فهذا هو الحديث عن العقيدة وأما البدعة فهو الحديث عن مسائل الخلاف وأما النار فهي الحديث المفضل عندما يريد أن يعظ الناس، ولا شيء يفسر هذا الهوس والخطاب إلا المثل العربي "كل إناء بما فيه يرشح".
وهنا أود أن أؤكد على أننا بعد التحقيق والمطالعة الكثيرة وعرض المسائل وتقليب الأدلة نرى أن المدرسة الأشعرية العريقة أكثر المدارس الاسلامية تحقيقا وأبعدها عن التقليد وأحذقها في النهج العلمي وأجودها في أدلة المعقول وأحرصها على التمسك بما صح من المنقول وهي إلى ذلك مصدر المكتبة الاسلامية والعلوم، وابْدَأْ بكتاب الله ولا تنتهي عند الفلك، فمن وصفها بالبدعة لا نشك في أنه مكابر حقود حسود.

أقول: إن المنهج التطبيقي السلوكي في علم التصوف صرح أخلاقي بناه علماء الاسلام وانتظموا فيه انتظاما وهذبوا معارفه وحققوا فيه من المراتب الشيء الكثير، وإن سبيله العمل بالعلم، قال العلامة ابن خلدون " تبيّن لك من جميع ما قرّرناه أنّ المطلوب في التّكاليف كلّها حصول ملكة راسخة في النّفس يحصل عنها علم اضطراريّ للنّفس هو التّوحيد وهو العقيدة الإيمانيّة وهو الّذي تحصّل به السّعادة وأنّ ذلك سواء في التّكاليف القلبيّة والبدنيّة. ويتفهّم منه أنّ الإيمان الّذي هو أصل التّكاليف وينبوعها هو بهذه المثابة ذو مراتب. أوّلها التّصديق القلبيّ الموافق للسان وأعلاها حصول كيفيّة من ذلك الاعتقاد القلبيّ وما يتبعه من العمل مستولية على القلب فيستتبع الجوارح. وتندرج في طاعتها جميع التّصرّفات حتّى تنخرط الأفعال كلّها في طاعة ذلك التّصديق الإيمانيّ"

وإننا في موريتانيا كنا موفقين حقا في ذلك الترتيب الذي ذكرت آنفا.

وسوف أعرض للقارئ الكريم نموذجا واحدا هو أساس البناء الثقافي للإنسان الموريتاني بل والإنسان المغاربي عموما في المعارف الاسلامية ألا وهو كتاب العلامة ابن عاشر الفاسي وهو كتاب لا تكاد ترى موريتانيا إلا ويعرفه لأنه هو التوطئة الأولى للتقدم إلى معرفة العلوم الشرعية نتعرض باختصار إلى مسائل العقيدة في هذا الكتاب ومسائل التصوف لنرى هل يخالف الكتاب والسنة.

يقول العلامة بن عاشر في عرضه للعقيدة:

1- يجب لله "الوجود" قال تعالى (أفي الله شك فاطر السماوات والأرض)
2- "القدم" ومعناه أن الله لا أول له قال تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن)
3- " البقاء" أي يجب أن الله باق لا يفنى (كل شيء هالك إلا وجهه) (ويبقى وجه ربك ذو الجلال ولإكرام)
4- "الغنى" أي إن الله غني عن كل شيء عن المكان والزمان والغذاء وكل شيء قال تعالى (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه وهو الغني)
4- " المخالفة للخلق" أي إن الله لا يشبهه شيء قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)
5- "وحدة الذات " قال تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد).
6- "وحدة الوصف" أي إن الله سبحانه وتعالى لا يشاركه أحد في أوصافه جميعا.
7- "وحدة الأفعال" أي أن الله هو المتصرف في الكون خلقا وتقديرا وتغيرا وتصريفا من حال إلى حال لا أحد يبدل فيه ولا يغير (إنا كل شيء خلقناه بقدر) (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)
8- "القدرة" (إن الله على كل شيء قدير).
9- "الإرادة" (إن الله يفعل ما يريد)
10- "العلم" (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم) (عالم الغيب والشهادة) .

11- "الحياة " قال تعالى (الله لا إله إلا هو الحي القيوم "
12- "السمع و البصر " (إن الله سميع بصير)
13- " الكلام " (وكلم الله موسى تكليما)

ثم يبدأ بن عاشر في التدليل على هذه القضايا والأوصاف فيقول:

- إن دليل وجود الله هو حاجة كل موجود إلى من يوجده حيث لا يعقل أن توجد الأشياء نفسها قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) يقول ولو أن الأكوان حدثت بنفسها لاجتمع نقيضان هما مفهوم التساوي ومفهوم الرجحان فيكون الشيء راجحا مساويا في آن واحد وهذا محال عقلا.
- إن الدليل على حياة الله وقدرته وعلمه إيجاده للكون إذ الميت الجاهر العاجز لا يخلق مثل هذا الكون المنظم العجيب. وهذا صحيح تماما لا شك فيه .
- إن الدليل على غنى الله أنه لو لم يكن غنيا كان فقير والفقير لا يكون ربا (فماذا بعد الحق إلا الضلال فأني تصرفون)
- إن دليل وحدة الله في ذاته وأفعاله وصفاته هو أنه لم كان اثنين لعجز حتما وفسدت السموات والأرض لقانون التمانع المدلول عليه بقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض)

ثم يبدأ العلامة بن عاشر في بيان هذا البعبع (التصوف) المخيف عند أبي عمر بن اقريبيزو اضرابه ممن لا يعلمون عن هذه الأمة خبرا و لا يعملون في شأنها نظرا ولا يهمهم إلا تقسيمها و تبديعها جميعا و تفسيقها ثم وتكفيرها يقول في بيان حقيقة هذا المنهج السلوكي:

1. تجب التوبة من كل ذنب فورا وهي الندم بشرط الإقلاع وعدم الإصرار
2. حاصل التقوى: امتثال واجتناب في الظاهر والباطن .
3. هذه الأقسام الأربعة أي : امتثال الأوامر في الظاهر وامتثالها في الباطن واجتناب المنهيات في الظاهر واجتنابها في الباطن هي سبيل المنفعة للسالك.

ثم ينشر هذه التقاسيم الكلية ببيان وحداتها فيقول:

1. يغض طرفه عن المحارم
2. يكف سمعه عن المآثم.
3. يكف لسانه عن السوء.
4. يحفظ بطنه عن أكل الحرام

5. يترك الشبهات
6. يحفظ فرجه عن الزنى.
7. يتوقف في الأعمال حتى يعلم حكم الله فيها.
8. يطهر قلبه من الرياء
9. يطهر قلبه من الحسد
10. يطهر قلبه من العجب ومن كل داء
11. يصحب شيخا عارفا بمسائل الشريعة و مسالك الطريقة
12. يحاسب نفسه
13. يزن خواطره بميزان الشرع
14. يحافظ على فروضه فهي رأس ماله ويكثر من النوافل فهي ربح له .
15. يكثر من ذكر الله بإخلاص
16. يستعين في كل ذلك بالله
17. يجاهد نفسه لله رب العالمين
18. يتحلى بالخوف من الله
19. يتحلى بالرجاء لرحمة الله
20. يتحلى بالشكر
21. يتحلى بالصبر
22. يتحلى بالتوبة
23. يتحلى بالزهد
24. يتحلى بالتوكل
25. يتحلى بالرضى لقضاء الله وقدره
26. يتحلى بالمحبة لله ولرسوله وللمؤمنين.
27. يتحلى بالصدق مع الله في جميع معاملاته وأفعاله.

هذا نموذج يسير من البناء الثقافي للإنسان الموريتاني بدء بالعقيدة وانتهاء بالسلوك.

إن هذا الترتيب العبقري توصلت له التجربة الثقافية الموريتانية بعد مآت من السنين دأبت فيها على مقرر تعودت فيه على قراءة صحيح البخاري والشفاء للقاضي عياض و موطأ الإمام مالك إلى جانب القرآن حفظا و تفسيرا و كتب الفقه واللغة و العقيدة كما كان عليه الدأب في شنقيط و تنيگي وولاته.

لكن هذه المسائل الجلية الواضحة في العقيدة والمتفق عليها بين المسلمين والمدلول عليها من كافة الدلائل في الكتاب والسنة لا تشفي غليل ابن اقريبيز لأنه يعتقد أن الله مثل الانسان وأنه على صورة آدم فلا بد له من أعضاء وصورة كوجه ويديه وقدم وفخذ و حقو.. إلى ما هناك ونحن نقول للابن اقريبيز إن هذه المسميات محل خلاف بين المسلمين في المراد منها ما هو؟

وفيما إذا كانت صفاة أم لا؟ وفي التعامل مع نصوصها وما ثبت فيه الخلاف لا يكون عقيدة لأن اليقين فيه مفقود ولا يبقى إلا الظن لتدافع الأدلة والعقيدة شيء ثابت لا يقبل التغير ثم إن التعلق بمسائل الخلاف ليس من شأن الموريتانيين وإنما من شأن مدرستك فاذهب إليها ثم جادل ما أمكن أن تجادل وابتكر من الخلافات ما لم يكن واختلق منها ما لم يُر وابعث مَيِّتَهَا بعثا ثم اعلم أن الشيطان في ذلك كله يصاحبك مجلبا بخيله ورجله ومشاركا برأيه وفعله.

إننا يابن اقريبز لم نر الرسول صلى الله عليه وسلم سماها صفاة ولا عدها كذلك ولم نر في كتاب الله كونها كذلك ولم نر الصحابة يقولون هذه صفات ربكم ولا كذلك من سار على نهجهم من التابعين وإنما وجدنا بعضا من أهل القرن الثالث وأواخر القرن الثاني يتعشقون جمع أحاديث في ذكر هذه المسميات ـ وأكثرها لا يصح ـ وبعضها موقوف أو مقطوع ويختمونها بالوقوع في الإمام أبي حنيفة ثم يعنونون الكتاب بعقيدة أهل السنة ثم قلدهم آخرون ساروا على منهجهم وتعصبوا لآرائهم بكلام لا طائل منهم يفضي في كثير من الأحيان إلى السفسطة

إن صفاة الله هي التي لا تكاد تخلوا منها فقرة من فقرات القرآن أما هذه الكلمات التي توجد في سياقات تختلف عن سياق وصف الله وتوجد نادرة ومتفرقة ولم ينص الشارع صلى الله عليه وسلم على كونها صفاة ولا تكلم فيها صحابته ولا من يعتد به من التابعين فلا شك أن ادعاء الصفة فيها أمر فيه ما فيه غير أنه مهما فعل الفاعلون وزوق المزقون وتحامق المتحامقون لا يستطيع أحد أن يدعي أن إنسانا واحدا من السلف ادعى أن وجه الله ويده في قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) وفي قوله تعالى (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) وما أشبه ذلك من النصوص أنها أعضاء وجوارح كما يزعم بن اقريبيز ومن على شاكلته ممن لا يفهمون كلام العلماء ويعمهون فيما لايدرون له معنى ولا يستخلصون فيه قضية.

إن من يثبت هذه المسميات ويعدها في جملة الصفاة من أهل السنة يعتقد وينص على أنها ليست جوارح ولا أعضاء وإنما هي معان قائمة بذات الله يجب التفويض في معناها لله عالم الغيب والشهادة ألا ترى إلى قول الإمام أحمد رحمه الله " وَلَيْسَ معنى وَجه معنى جَسَد عِنْده وَلَا صُورَة وَلَا تخطيط وَمن قَالَ ذَلِك فقد ابتدع" وقال في صفة اليدين " إِن لله تَعَالَى يدان وهما صفة لَهُ فِي ذَاته ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين وَلَا جسم وَلَا جنس من الْأَجْسَام وَلَا من جنس الْمَحْدُود والتركيب والأبعاض والجوارح وَلَا يُقَاس على ذَلِك لَا مرفق وَلَا عضد وَلَا فِيمَا يَقْتَضِي ذَلِك من إِطْلَاق قَوْلهم يَد" أين هذا يابناقريبيز من قولك لي إن يدي الله عضو ووجه عضو من ذاته وقولك لي إن هذا هو مذهب السلف ثم تحاول أن تضحك على عقلي وتقول لا تشبه يد الانسان وكأني أناقشك في التشبيه إني أيها السلفي الذي لم تلدك أمها ولا أنفق عليك أبوها أناقشك فيما هو أفظع منه ألا هو التجسيم أبو الشرك على وجه الأرض.

وهذه العقيدة الطحاوية التي يُجمع عليها جميع الناس بل ويحاول كل الناس أن يُظْهِرَ أنها عقيدته ويسلمونها تسليما بالرغم من أنها عقيدة الماتوريدية بذاتها جاء فيها "وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات"

أفبعد هذا كله يريد ابن اقريبز أن يقنعنا أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي تلك التي تنسب لله الجوارح و الأعضاء ؟! كلا يابن اقريبيز .

<u>العالم والحافظ وشيخ المحظرة في موريتانيا.</u>

إن العالم في موريتانيا هو ذلك الرجل الذي أخذ المسائل الفقهية في المذهب المالكي من الألف إلى الياء بصورة دقيقة متأنية في نصوص تبدأ بالأصغر لتنتهي بأكبر نص (الأخضري، ابن عاشر الرسالة أو أسهل المسالك ثم مختصر خليل) ثم أخذ مسائل النحو كذلك من الأف إلى الياء بنفس الترتيب (الأجرومية الملحة لامية الأفعال ألفية بن مالك) ثم أخذ مسائل أصول الفقه بنفس الترتيب (الورقات، المراقي) ثم أخذ البلاغة بنفس الترتيب (الجوهر المكنون ألفية البلاغة للسيوطي) ثم أخذ الحديث بنفس الطريقة (البيقونية طلعة الأنوار ألفية العراقي) ثم إنه قبل هذا كله أتقن القرآن الكريم حفظا وخطا وتجويدا هذا الرجل يسمى عالما وهذه هي إساسيات معارفه وهذا هو ترتيبها في الأخذ فهذ الرجل لايحتاج في الفتوى أن ينظر في كتاب إنما يسأل و يجيب فورا وفي كل هذه العلوم جميعها.

أما الحافظ في موريتانيا فهو ذلك الرجل أو الطفل أو الشاب الذي بإمكانه أن يكتب لك مصحفا بالرسم العثماني من الفاتحة وحتى الناس ويضبطه ضبطا دون أن ينظر في مصحف أو يخطأ في كتابة كلمة واحدة و هذا لا يوجد إلا في بلاد المغربي العربي فإن وجد في غيرها فهو نادر إنما هذا هو المتبع عندنا هذا أولا .

وثانيا الحافظ الموريتاني إنما أخذ الإجازة بعدما قرأ القرآن في يوم واحد أو يومين ودون أن تفسد منه كلمة واحدة إنما يقرؤه على شيخه الذي يجيزه فيه متتابعا وكثيرا ما يكون ذلك في يوم واحد ولا يسمح الشيخ بأن يذهل التلميذ عن كلمة واحدة فإن سمح بشيء من ذلك فكلمة واحد في كل خمسة عشر جزءا أي كلمتين في القرآن كله وهذا أمر لا تجده إلا في بلاد المغرب العربي ولو أردت أن تجيز شخصا من غير بلاد المغرب العربي على هذا الشرط فلن تجد من تجيزه إلا واحدا في كل ألف.

ثالثا : الحافظ في موريتانيا إذا لبث بعد إجازته أعواما يكون بإمكانه ألا يقرأ القرآن إلا مرة واحدة في السنة ثم لا يأثر ذلك في حفظه للقرآن ويجلس بين خمسين أو أزيد كل منهم يملي عليه من ناحية من النواحي دون تردد أو تلعثم وهم يكتبون ثم يسألون وهكذا لا تجده يجد في الأمر صعوبة هذا لشدة ما حفظ القرآن أي إن حفظهم للقرآن ليس عبارة عن استحضار عادي لو سكت صاحبه عشرة أيام لتفلت إنما لو سكت عنه سنة ما تغير الحفظ ولبقي كما هو.

أضف إلى ذلك أن الحافظ في موريتانيا يقرأ القرآن معربا كما يقرؤه مجودا بالوقف سواء عليه في كلا الحالين بينما لو سألت الكثير ممن يحفظ القرآن من غير بلاد المغرب العربي أن يقرأ

لك إحدى السور القصار دون أن يقف لأعجزه ذلك و لما استطاع أن يعرف حال أواخر الكلم من الحركات.

أما شيخ المحظرة فغالبا ما يكون متبحرا كالعالم فيقال "إنه لا يرد لوحا" يأتي طلبة القرآن والفقه والنحو وغيرها وهو يشرح كل شيء ويجلس لا يرد من يأتي للدراسة ولا يسأله ماذا يدرس لأن هذا الشيخ يجيب عن مسائل اللغة والبلاغة والمنطق والفقه و الأصول والعقيدة وكل شيء واعلم أنه يوجد من يعرف جميع العلوم الاسلامية أو أكثرها لكننا نقصد بهذا أن صاحبنا إذا درس علما لا يحتاج في الإجابة عن أسئلته لمراجعة المراجع لأنه يحفظه حفظا وهذه هي المزية التي نقصد بيانها هنا وإلا فإن الكثير من الناس والعلماء يعرفون غالبية العلوم الاسلامية لكن الطريقة المغاربية المحظرية خصوصيتها استحضار المعلومات فورا.

البناء الثقافي الانسان الموريتاني الحديث.

بينا فيما سبق المنظومة العقائدية والسلوكية التي تكون بناء الانسان المورتاني عموما وبما أن الحياة في تغير مستمر وحركة دائبة انضاف إلى ما قدمنا من أسس ثقافية ومعرفية للإنسان الموريتاني مفاهيم جديدة استجابة لمتطلبات العصر ومواكبة لسير الحياة فأخذوا الأسس المعرفية و اضافوا إليها مفاهيم أخرى كونوا من بين الجميع خطابا إسلاميا واعيا نجمل معالمه في الآتي:

1. "ربانية المصدر والغاية" أي إن الاسلام دين ربانية في مصدره وغايته
2. "عالمية المحتوى". أي إنه رسالة إلى كل العالمين
3. "الجمع بين المثال والواقع" . أي طلب القيم المثالية و تحصيلها مع مراعاة واقع الحياة .
4. "الجمع بين الأصالة والمعاصرة". أي التمسك بثوابت الأمة وأصالتها مع مواكبة العصر والتحصيل احتياجاته المعرفية السلوكية.
5. "الجمع بين المحلية والعالمية". أي تحصيل بناء معرفي يتواكب مع الثقافة المحلية والقبول للتعامل مع العالم ككل لأن الانسان المسلم يحمل أخلاقا عالمية لأن رسالته عالمية.

وهكذا لا يخلوا الانسان الموريتاني إما أن تجده على البناء الثقافي الأول وأكرم به بناء إنه بناء محكم رصين مبني على أسس المعارف الإسلامية الحقة والمستنيرة وإما أن تجده بالنسخة الأخير وهذه كالأولى غير أنها فرع عنها و مد لجزرها و في الفرع ما في الأصل وأزيد فلا جرم كان الانسان الموريتاني شخصا على المستوى المطلوب في المعرفة والسلوك أما من حيث المعرفة فموسوعة لفضل حفظه وأما من ناحية سلوكه فلعمق نظرته إلى الاسلام وتفهمه لقضاياه الكلية جاء شخصا رصينا هادئا ولهذا لا تجد فينا إرهابا فإن وجدت شخصا منحرفا فانظر في حياته سوف تجده صنعت ثقافته بأياد غير موريتانية إما من خلال مؤسسات تعليمية وإما من خلال اغتراب عن الوطن.

نعرج إلى الصوفية في موريتانيا فنقول إن الصوفية في موريتانيا كما في غيرها من البلدان الإسلامية أساسها ما قدمنا حول تعريفها ونهجها ومسائلها وهل في موريتانيا صوفية منحرفة الجواب نعم لكنها محصورة وقليلة وليس لها حكم يطلق على الكل بل هي استثناء وهل تقبل الصوفية بهذه الاستثناءات ولا ترد عليها الجواب لا بل هي مرفوضة من جميع أهل العلم والمعرفة ولقد ظل علماء التصوف يردون على كل منحرف حتى قال بعضهم :

أهـــل التصـــوف قـــد مضـــوا	صـــار التصـــوف مخرقـــة
صـــار التصـــوف ركـــوة	وســـجادة متلفعـــة
صـــار التصـــوف صـــيحة	وتواجـــدا أو منطقـــة
كـــذبتك نفســـك لـــيس ذي	ســـنن الطريـــق الملحقـــة

ونقدم نموذجا من رد الصوفية الموريتانية السوية على من انحرف وظهر بما لا يوافق الشرع مما يسميه تصوفا:

يقول الشيخ سيد محمد الكنتي ينتقد المتصوفة "فظهورهم بالبدع له أصول ثلاثة أولها نقص الإيمان بعدم العلم بحرمة الشارع وفقد نور الإيمان الهادي إلى اتباع الرسول قال تعالى : (وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال احمد بن حضرويه رضي الله عنه الدليل لائح والطريق واضح والداعي قد أسمع فما التحير بعد هذا إلا من العمى. وقال لابن عطاء الله "لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك" وقال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) يعني أن الحيل والأسباب لا تفيد في هدايته لتمكن الباطل من نفسه وفقدان نور الإيمان من قلبه (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

الثاني: الجهل بأوصاف الطريقة واعتقاد أن الشريعة خلاف الحقيقة وهو الأصل الكبير في ذلك إذ هو من مبادئ الزندقة ومنه خرجت الطوائف كلها فصار الفروعي الجامد لا يتوقف في سب الصوفية والمتصوف الجاهل لا يتوقف في النفور من العلم وأهله ولا يخالف ظاهر الشريعة في أمره ويرى كمالا في محله كما ترى من حال الطائفة الغظفية ومن ادعى نسبة إلى الصوفية في البلاد المغربية حتى انه لقد بلغني عن بعضهم أنه يقول ظاهر الشريعة حرمان وحجاب حاجب عن الحقيقة معوق عن سلوك الطريق وهذا والعياذ بالله كفر أو قريب منه وضلال انجر له من جهله بالطريقة واعتقاد الفرق بين الشريعة والحقيقة. وهو الأصل الذي بنى عليه المارقون أصولهم واستظهرت الطوائف بأعمال خارجة عن الدين وأحوال موافقة للمارقين فحمل الصادق على الكاذب والمصيب على المخطئ الخائب ووقع الكل في جهالات لا يمكن تفصيلها ولا ينضبط تأصيلها ودفع ذلك لا يمكن إلا بتقرير أصول القوم..إلخ"

ويقول أيضا "ومن أدهى دواهي هؤلاء المارقين الرغبة عن الأخذ عن المشايخ والتأدب بواسطة المتأدبين وما دروا أن العلم علمان علم منقول في الألسنة والسطور وعلم معقول في القلوب والصدور وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم و سيد العلماء وموروث الأولياء يأخذ العلم عن جبريل وعن غيره من الملائكة وعن اللوح المحفوظ بخاصية الكشف وإزالة الحجاب وعن الحق تعالى بغير واسطة ملك ولا غيره وهو مع ذلك يقال له (قل رب زدني علما)

ويقول أيضا "وهؤلاء المدعون المبتدعون يرد عليهم الوارد جاهلا مسرفا على نفسه قد ضيع من الصلاة والزكاة إن كان قد تمول مالا تجب فيه وأضاعها ومن الصيام والكفارات ما الله اعلم به فيعاجلونه بصفعتهم من غير تقرير ولا تنصل ولا قضاء لما فيه من العبادات الشرعية والواجبة ولتعليم ما تصح به تأديتها في الحال والمستقبل بل يوهمونه أن صفعته تلك موصلة إلى أرقى مقامات الوصول التي دونه إقامة الحدود الشرعية ونسخ العلائق النفسية والقيام بالآداب الحقية والحقيقية إذ الطريق إلى الله سبحانه لها بداية تسمى الإسلام وهي تقتضي التخلي عن المذمومات ووسط يسمى الإيمان وهو يقتضي التحلي بالمحمودات ونهاية تسمى الإحسان وهو يقتضي الفوز برتب المشاهدات."

تجدر الإشارة إلى هذا الرجل من أكابر رجال الصوفية والعلماء الأفاضل متفنن في جميع العلوم وقد مر بنا قبل أن أبا عمر قال إن الفقهاء في موريتانيا لا يعرفون علم الحديث و لا يدرسونه وأحيطه علما أن هذا الصوفي بحر من بحور الحديث فقد جمع في حافظته "النزهة والمواهب اللدنية والشفا للقاضي عياض السبتي وجامع السيوطي وصحيحي البخار ومسلم وموطأ مالك" وقد أجاز للكثير من العلماء المورتانيين في ذلك هذا مع أنني لا أستطيع أن أحصي علماء الحديث المورتانيين في أي عصر لكن كما يقول الشيخ سيد محمد الكنتي الفهري "فعين المبطل في عمى عن رؤية المحق كما الباطل حجاب مانع من الوقوع على عين الحق.

واختفـــاء الرجـــال فـــي كـــل عصـــر	تحـــت ســـوء الظنـــون خطـــب جليـــل
هـــل يضـــر الهـــلال فـــي حنـــدس	الليـــل ســـواد الســـحاب وهـــو جميـــل

هذا نموذج يسير من رد الصوفية على المنحرفين من داخل مسمى الصوفية لكن بعيد ما بين من لا يتكلم في المسلمين إلا بتهمة الباطنية والخيانة للدين وللمسلمين وبين من ينزل الأمور منازلها ويتكلم وهو يعرف أن عليه رقيبا وعتيدا.

هذا وقد ألف عبد الرحمن بن بلال الجملي نظما في الرد على المتصوفة الغالية.

ولست بتارك هذا المقام حتى أورد كلاما للعلامة الصوفي الكبير الذي كان أبو عمر وأصحابه فرحا بموته يوما مات رحمه الله في الرد على الصوفية المنحرفة فيقول العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله في كتابه "كبرى اليقينيات الكونية" في معرض الحديث عن صفة الله

"الوجود" تحدث الشيخ عن كون الله موجودا ثم تحدث عن الوجود التام والوجود الناقص وبين أن وجود الله تام بمعنى أنه لا يسبقه عدم ولا يعقبه عدم وبين الوجود الناقص وهو وجود ما سوى الله سبحانه وتعالى وبين أن ضابطه أنه الوجود الواقع بين عدمين سابق ولاحق ثم قال " ولا ينبغي أن تجتاز هذا الحد في التأمل في معنى وجوده تعالى ووجود غيره من الممكنات، أو أن توغل في تأمل الفرق بين الذات والوجود لأنك لا تملك مع هذا التأمل أي عدة من البحث العلمي ومنهجه ، لا في الخبر والنقل اليقيني ولا في دليل التجربة و المشاهدة أو في برهان التلازم و القياس و الاستقراء. كل ما تمتد إليه طاقتك هو تحريك الحدس والخيال تجدف بهما في يم متلاطم لا أول له ولا آخر وجدير بك إن فعلت ذلك أن تقع في الخبل الذي وقع فيه بعض الفلاسفة (الوجوديون) أو في الوهم الذي انجرف فيه بعض الصوفية .... أما هؤلاء فقد انتهى بهم الوهم إلى أن وجود الله هو وجود العالم نفسه فهذه الأكوان التي تراها من حولك هي في الحقيقة ليست شيئا أكثر من وجود الله عز وجل تجسد في هذه الصور و الأشكال..

فانظر إلى ما يفعله الخيال والتأمل الأعزل عن طاقة العقل ومنهجه أولئك تخيلوا وجود الله عز وجل وعاء فارغا ليس فيه إلا شيء واحد اسمه الوجود وهؤلاء تخيلوه وعاء ممتلئا بكل ما تراه من أصناف المكونات والمخلوقات.

أما العقل بكل ما يملكه من عدة وبراهين ومناهج للبحث فإنه يقول أما وقد ثبت بالبرهان اليقين الذي لا شك فيه أن هذه الممكنات تستند إلى ذات واجبة الوجود تتصف بكل أوصاف الكمال وتبتعد عن كل أوصاف النقصان فلا مندوحة عن الإيمان بوجود هذه الذات العظيمة المدبرة لأمر هذا الكون كله وأنها بالضرورة غيره و مستقلة عنه . ولكن ما هي العلاقة بين الذات والوجود و ما هو الفارق بينهما ؟

يقول العقل في الجواب عن هذا لا شأن لي بشيء من ذلك لأنه خارج عن متناول فهمي وسلطاني . ورحم الله امرءا عرف حده فوقف عنده"

انتهى كلام الشيخ وقد كان يعالج قضية القول بوحدة الوجود ويبين فسادها علما أن القائل بها هو محي الدين بن عربي الصوفي المشهور ثم علق العلامة على كلامه في أسفل الصفحة قائلا إنه لا ينبغي أن يكفر من وجد في كتبه شيء من هذا القبيل لاحتمال كونه مدسوسا في كتبه أو كونه قد قاله ثم رجع عنه في إشارة إلى محي الدين بن عربي و أصحابه وإذا كان الله سبحانه وتعالى لا يحاسبك يوم القيامة على أنك لم تقل في حياتك لكافر حقيقي يا كافر فإنه أحرى أن لا يحاسبك إذا لم تقل بكفر من عرف بالإسلام ثم قال "و حسبك لبيان الحكم وتحذير الناس من التقليد أن نبين لهم الحق ونفند الباطل ونحذرهم من اتباعه بقطع النظر عن قائله ... و ليسعك ما وسع أئمتنا الأعلام من قبل من بيان حرمة قراءة هذه الكتب التي تتحدث عن مثل هذه الشطحات كالفتوحات المكية و فصوص الحكم للشيخ محي الدين"

نعود إلى موضوعنا وخطوط المسار في جو الكتاب ونحوم الآن فوق الفصل الأول من كتاب تاريخ بني صالح ولك أن تعجب عندما تقارن بين موضوع الكتاب وعنوان هذا الفصل فعنوان الكتاب "تاريخ بني صالح شرفاء كمبي صالح" وأما عنوان هذا الفصل فهو "التشيع والتصوف ... الداء والدواء" عند ما نرى هذا التأليف والخلط بين علم التاريخ والأنساب وبين الطوائف والمذاهب نستخلص أمرين أساسين:

أولهما: حالة الفوضى في الترتيب الثقافي لهؤلاء الرهط مما يعني حتما فوضى أخرى في الأحكام والتصرفات والمشاعر وغير ذلك مما يترتب من سلوك على المعارف.

الثاني: صدق الدعوى التي قدمنا ذكرها من أن الحسن بعد ما ألف كتابه الأصلي الخالي من أي أفكار سيئة اختلط بهؤلاء الرهط وأبرموا معه الصفقة بإلحاق بعض

ويقول في موضع آخر من كتابه هذا في معرض كلامه عن قضية الجبر والاختيار بعد أن حرر المسائل و أثبت أن للانسان إرادة ومشيئة هي سر أودعه الله فيه ليكون مختارا لما يفعل حرا في اختياره قال " وأخيرا فإنك قد تسمع بعد الذي ذكرته لك كلمات يرددها بعض المتصوفة اليوم تنقلها الكتب من بعض المشهورين منهم أن الانسان لا يملك في الحقيقة شيئا وأنه ليس إلا ريشة في الهواء فهو مسير في كل شؤونه وأعماله في قبضة الحكم الإلهي وأن هذا الذي نراه من ظواهر الناس وأحوالهم ليس كل ذلك إلا ظلالا لقضاء الله فيهم وتجدهم يكثرون لدى ترداد هذا الكلام من الاستشهاد بقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فاعلم أن هذا الكلام لا يستند إلى شيء من البراهين والعلم والخبر الإلهي الذي تكوَّن منه الشرع المطهَّر ولكنه يستند (عند الصالحين من هؤلاء) إلى أحوال تعتريهم من شدة التأمل في عظمة الله فيغرقون بسبب ذلك في حبال من الدهشة والذهول عن أنفسهم تجعلهم ينطقون بهذه الكلمات وهي في الحقيقة ليست تقريرا علميا لما وصلت إليه عقولهم ولكنها وصف نفسي لهذه الدهشة التي اعترتهم وطافت بمشاعرهم . أما عند (أخرين منهم) فإنما يستند إلى مجرد التقليد والمحاكاة لهم ولعمري إن أولئك إن كانوا معذورين فيما قالوا بدافع من حالهم فإن هؤلاء ليسوا معذورين فيما يتعمدونه من مجرد المحاكاة لهم."

هذا هو كلام محمد سعيد رمضان البوطي وهو يرد على رجال من منحرفة الصوفية في مسائل مختلفة ومن بينهم ذلك الرجل الذي لا يتحدث أبو عمر بن اقريبيز عن الصوفية إلا من زاويته ويحاول جاهدا أن يجعل الصفوية منحصرة فيه أعني محيى الدين بن عربي و تلامذته . و إنما أوردت هذا الكلام على طوله لأنه يقدم نموذجا وافيا في ما أريد بيانه من أن الصوفية ليسوا إلا مدرسة سلوكية تمتاز بالجمع بين العلم والعمل وليست طائفة يتعصب فيها المصيب للمخطئ والصالح للطالح كما نشاهد في أيامنا هذه في كثير من الطوائف .

الأفكار في كتابه منها هذا الفصل بكامله ويظهر هذا في سوء التركيب والتأليف بين هذا العنوان وعنوان الكتاب.

قرأت مقدمة هذا الفصل وهي من إنشاء شخص يبدوا من خلال كلامه في هذه المقدمة أنه شخص فاضل حسن النية وأكد في مقدمته على قضية عادلة هي التساوي بين الناس ورفض تكبر بعض الناس على بعض وأشياء من هذا القبيل وأحسن ما في هذه المقدمة هو قوله " وما أظنه يريد بتأليفه هذا وما بذله من جهود جبارة إلا وجه الله تعالى ورضاه .... ونسأل الله العلي القدير لنا وله التوفيق والسداد وأن يجزيه احسن الجزاء وإن كان يريد غير ذلك فنسأل الله ان يعيذه من شر نفسه وشر شياطين الإنس و الجن " هذه الفقرة تدل دلالة واضحة على حسن ظن هذا الرجل وأنا أقول للأستاذ أبي إبراهيم أن الحسن ألف كتابه الحقيقي وهو الجزء الأول والثاني من هذا الكتاب وهو يريد إثبات كونه شريفا وبعد ذلك ـ وقبل أن تدعوا له بالاستعاذة من شر نفسه وشر شياطين الانس والجن ـ اجتمع بشياطين الانس والجن معا وأملوا عليه ترتيب كتابه ترتيبا جديدا يتضمن طعنا في الوطن وتشويها لصورة المجتمع الموريتاني فمقدمتك هذه الجميلة واقعة بين شيء من الحقد والكراهية وليست في كتاب من الأنساب و"من وقف مواقف السوء اتهم" فالمقدمة متهمة لا لذاتها وإنما لمكانها ثم إنك تبدوا مفتونا بما قدمه الرجل من معلومات فعليك ان تقرأ كتابي هذا حتى يتبين لك مدى كذب الرجل في جميع المعلومات التي قدمها حول التاريخ والأنساب معا.

لكنك أيها الأستاذ الكبير لا بد وأنك لفت انتباهك عنوان الفصل الذي قدمت له وهو التشيع والتصوف من زاويتين اثنين ما الذي جاء بذكر التشيع مقرونا بالتصوف في كتاب يتناول شرف بني صالح.

وثانيها ماذا يقرر كلام حول الشيعة من حقائق شرف ناس من فوته تورو؟ إن هذا العنوان يقوم بمهمات عدة خبيثة:

أولها: جعل موريتانيا مقرونة في التصور العام بالتشيع لمزيد تشويه لهذا المجتمع المظلوم لمَّا لم يكن التصوف كافيا في تنجيس هذا المجتمع في الأذهان.

ثانيها: عقد قِرانٍ لا وجه له بين التصوف والتشيع في عقول القارئين وذلك ليتنجس التصوف بالتشيع ثم إذا تخمر الجميع أُلزق بالمجتمع الموريتاني.

ثالثها: كسب الود من جهات على خلاف سياسي مع إيران والجهات الشيعية حتى يبدوا هذا الرهط وكأنه يحارب التشيع ومن ثم يكون له ود من الجهات السياسية المشار إليها لتكون هذه طبخة كبرى بين السياسة والدين والأنساب والفِرَقِ "ولا الكلى والعجا يجمعن في شدق" وهذا كله لا يدل الانسان الفاهم إلا على مدى تبعثر وخراب المنظومة الفكرية عند الرهط .

ولو أن هذا العنوان جاء منفصلا عن هذا الكتاب وجاء في صورة كتاب بمفرده أو مقال بحاله لكان يستحق أن ينظر فيه من الناحية العلمية خصوصا ما يتعلق منه بالشيعة أما إنه اندس بين خبائث أولها ادعاء نسب في آل الرسول صلى الله عليه وسلم، ووسطها تشويه المجتمع الموريتاني، وآخرها تلفيق أكاذيب في إنكار أنساب الناس وتشويه مدارس أهل الاسلام، فإنه بحكم المجاورة صار خبيثا وإن حكم المجاورة سار في كثير من المسائل ففي الأخلاق قالوا: عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه إن القرين بالمقارن يقتدى. وفي النحو "تصرف الكلمة لمجاورتها أخرى مصروفة كما في قوله تعالى ﴿سلاسلا وأغلالا﴾ وكذلك في باب الإمالة قال بن مالك "وقد أمالوا لتناسب بلا داع سواه ".

يتلوا المقدمة في هذا الفصل عنوان هو "دعوة المسلمين في غرب إفريقيا إلى التوحيد الخالص ونبذ التشيع والتصوف " وهذا العنوان هو بيت القصيد فقد قدمنا إن هذا الفصل إنما أدرج هنا ضمن صفقة الرهط ليدل على أن المجتمع الموريتاني بل والمغربي عموما شيعة مشركون هذه هي الفكرة التي يبحثها هذا العنوان أساسا كما سبق أما ما ذكر من الدعوة إلى الدين الخالص فهو كلام لا قيمة فيه على الإطلاق فإن الشيطان لا يقول للإنسان إنه يدعوه إلى الشر إطلاقا وكذلك أي داعية ضلال فإنما المعلن عنده على الملأ هو التوحيد والجهاد والهجرة والقتال في سبيل الله لكن كل ذلك لا قيمة فيه عند التحقيق وإنما هو مثل الزرع الذي يبذله الصياد للحمامة لا من أجل أن تتغذى به ولكن من أجل أن يمسكها فيأكلها فكذلك هذا التوحيد الذي يدعوا إليه بن اقريبيز لا يعدوا مسائل خلافية يرجح ابن اقريبيز فيها مذهبا ثالثا جاء من دماغه مضمونه التجسيم البحت مع أنه يظنها عقيدة أحمد

بن حنبل وما هو إلا سوء الفهم الكامن وراء أحكام الخيالات مدعوما بظلام الجهل بمسائل الخلاف وقواعد الفن ومدارس أهل الاسلام.

وأما كل المعلومات الواردة هنا عن الشيعة وغيرهم فلا قيمة لها في الميزان العلمي إذ لم تترك لها التهمة مجالا للنقاش.

يأتي بعد هذا المقال التعيس مقال آخر بعنوان "انحرافات القبوريين الداء والدواء" ولا وجه أبدا لوجود هذا العنوان هنا إلا كما يقول القائل "فقالت حنان ما أتى بك هاهنا ... أذو نسب أم أنت للحي عارف" فإنه حلقة من سلسلة التشويه التي بدأت بالباطنية ومرت بالتشيع ولا تنتهي بهذا العنوان الذي مضمونه تكفير الناس وجعلهم مشركين فسوف يتطور الأمر إلى أبعد من ذلك واعلم أن كل ما سبق من سرد في مفردات هذا الكتاب إنما هو تابع للصفقة المبرمة بين الحسن وأصدقائه الجدد وليس فيه حرف واحد للحسن فيما يغلب على الظن.

يأتي ضمن سلسلة التشويه والأباطيل عنوان آخر هو "دعوة المتصوفة الناس لعبادتهم من دون الله والعلاج بالسحر نعت البدايات نموذجا" هنا تكتمل حلقات الفكر التكفيري المارق؛ السحر والدعوة للعبادة من دون الله هكذا يصف القوم ثم يعرض هذا الكاتب فيما سماه بابا أولا كلاما طويلا مفاده ضرورة صحبة الشيخ العارف بآفات النفس ليتربى الانسان على السلوك القويم وينقل أيضا عن القرطبي رحمه الله كلاما حول هذا الموضوع بالذات ولست أدري أين هذا من الدعوة للعبادة لكن الله يختم على قلب كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ثم يكتب تحت هذا الموضوع "انتهى ما كتبه ماء العينين عن دعوة المتصوفة الناس لعبادتهم من دون الله وإليك ما كتبه عن العلاج والتداوي بالجداول والطلاسم والتنجيم وغير ذلك من أنواع السحر" ثم يتبع ذلك بورقات كثيرة فيها بيان أشياء من علم الخواص يخدع الناس بكونه سحرا ولعمري لإن كان الغباء دينا ليدخلن هؤلاء الرهط الجنة في حياتهم قبل موتهم لشدة ما امتلأت به قلوبهم.

وحتى لا يظن ظان أن القوم متهمون بالصدق عندما كتبوا هذا الكلام فإنا نُورد المعلومات الكافية والدقيقة حول حقيقة السحر ووجوده في موريتانيا .

من البدهي أن شخصا رمى آخر بالسحر فأراد ثالث أن يتحقق الموضوع أن يعرف أولا ما هو السحر ثم يعرف ثانيا ما الذي يفعله ذلك الشخص ثم إذا تطابقا حكم بسحر المدعى عليه وإذا اختلفا فلا وجه للحكم عليه فتعال بنا نعرف ما هو السحر حتى نطبق قول الله ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

قال بن خلدون في تعريف السحر: "علم السحر والطلسمات هو: علم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية والأول هو: السحر والثاني : هو الطلسمات "وهذا هو التعريف العلمي للسحر أي الذي يعتبر سحرا في الشرع هو هذا الذي وصفه العلامة بن خلدون ومفاده تحصيل كيفية في النفس تكون بها قادرة على التأثير في الأشياء مباشرة أو بواسطة .

ويرى بعض الذين لا يحررون المسائل العلمية تحريرا دقيقا أن كل مالا يعرف الانسان وجهه ولا يدرك أسبابه و يُحيِّره من حيث إنه يجهله يعدون كل ذلك من السحر وهذه هي النظرية العامة التي يتخذها مؤلف هذا الكتاب ورهطه المحيطون به وهذا التعريف للسحر يقضي بأن الكهرباء بالنسبة لكل من لا يعرف تفاصيل التيارات وتولد الطاقة ولم يقف على شيء من ذلك سحرا وكذلك التلفاز والبث الحي والكامرات وكل الصناعات الحديثة لأن تفاصيل عملها دقيقة لا يعلمها إلا الذي أشرفوا على صناعتها أو تعلموا تفاصيل ذلك وهذا إنما يرجع إلى انتحال المذهب السلفي دون فهم لهذا المذهب وهذا التيار فهم إنما يظنون أن كَوْنَ الانسان سلفيا يعني أن يكون عَقْلُه مصمما على عقول أهل القرن الأول والثاني والثالث ولو أنك أحضرت الإمام مالكا بن أنس في بيت فيه مصابيح كهربائية ومروحة دوارة وتلفاز وهاتف وأوقدت المصابيح ثم ضغطت على مفتاح المروحة فدارت وحدها وفتحت التلفاز فإذا بالكلام ينبعث من الجمادات وصور الناس ثم قلت له هل تحب أن تتكلم مع تلميذك بن القاسم في مصر لجزم بأن هذا سحر مبين .

قال في أبجد العلوم "علم الاستعانة بخواص الأدوية والمفردات كاجتذاب المغناطيس للحديد ونحو ذلك وفيه حكاية وهي...:" ثم أورد الحكاية ثم قال أنه "من حيث كونه أثرا للخواص يسمى: بعلم الخواص ومن حيث كونه محيرا للناظرين لعدم وقوفهم بأسبابها يعد من فروع علم السحر كذا في مدينة العلوم وذكره أبو الخير أيضا من فروع علم السحر.

وقال: هذا وإن كان من فروع خواص الأدوية لكن لعدم معرفة العوام سببه ربما يعد من السحر" ثم رد على الجميع في هذه الدعوى فقال " وأنت تعلم: أن عدم علمهم لا يصلح سببا لأن يعد من فروعه"

فحقيقة السحر تتحقق في ذاته لا فيما يكون في الانسان من الجهل به فالتسمية لغوية لا شرعية منطلقها أن أصل "السحر" الخفية والدقة في الشيء وعدم الظهور والذي عليه المعول هو تعريف العلامة ابن خلدون كما سبق.

هنا لا أريد أن أطيل في هذا الموضوع كثيرا والذي يهمني هو التعرض باختصار إلى ما يمارسه بعض الناس في موريتانيا من أصناف الرقى هل فيه شرك أو سحر وهل هو سمة للمجتمع الموريتاني أم لا؟

فأقول إن: ظاهرة "الرقيا" أو لحجاب كما هي عبارة العامة توجد في موريتانيا ويوجد منها ما هو موافق للشريعة الاسلامية ويوجد منها ما هو مختلف فيه ويوجد ما هو فوق ذلك وهو السحر والشرك ونبدأ بالصنف الأخطر:

1. **السحر والشرك**: وهذا موجود في موريتانيا في نطاق ضيق تماما منحصر في الزنوج غير الملتزمين وبعض البيض ويتجلى في طلاسم وعقد وتحبيب وتفريق بين الأزواج ويدخل فيه ذبح الديوك ورؤوسها والقرون والودع وأشياء أخرى ونحوها والذي يوجد منه في غير الزنوج مأخوذ منهم وهو قليل جدا وأهله مأفونين منبوذين من المجتمع والمهم أن كل تلك الممارسات ينتهي نسبها إلى غانة وأهلها على ما سنبينه من حقيقة هذه المدينة وكثرة السحرة فيها خاصة ملكها جد الحسن نسابة الرهط والذي يحاول بكل ما أوتي من قدرة على التلفيق أن يجعله من آل البيت حاشاهم من ذلك.

2. **الجداول والأوفاق** وهذه هي التي يركز عليها القوم من أجل أن تكون سحرا وأن يكون المجتمع بها كفارا ومن ثم يسقط المجتمع ليكونوا هم من الصالحين وهذه الجداول تابعة لعلم العدد من حيث حسابه وأرقامه وهو من علم الخواص من حيث تأثيره ولا علاقة لها بالسحر ولا غيره قال بن حجر العسقلاني " وروى بن وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ كَرَاهَةَ الرُّقْيَةِ بِالْحَدِيدَةِ وَالْمِلْحِ وَعَقْدِ الْخَيْطِ وَالَّذِي يَكْتُبُ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ وَقَالَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ الْقَدِيمَ" وابن خلدون يعد هذه العلم من قبيل علم سر الحروف ومنشأه بعض رجال الصوفية استقوه من الكشف قال " فأمّا سرّ التناسب الّذي بين هذه الحروف وأمزجة الطبائع، أو بين الحروف والأعداد، فأمر عسير على الفهم، إذ ليس من قبيل العلوم والقياسات، وإنّما مستندهم فيه الذّوق والكشف. قال البونيّ: ولا تظنّ أنّ سرّ الحروف ممّا يتوصّل إليه بالقياس العقليّ، وإنّما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهيّ. وأمّا التصرّف في عالم الطبيعة بهذه الحروف والأسماء المركّبة فيها وتأثّر الأكوان عن ذلك فأمر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواترا. وقد يظنّ أنّ تصرّف هؤلاء وتصرّف أصحاب الطّلسمات واحد، وليس كذلك" ولا يهمنا هنا الدفاع عن مثل هذه الممارسات وإنما لنبين أن تصويرها على أنها سحر من الباطل الذي لا مرية فيه ومن افتراء الكذب على الله ولا أظن أن أحدا يستطيع أن يأتي بدليل من كتاب أو سنة على أنها من السحر أبدا ولو أننا نعرف من كلام القوم فيها أنهم إنما ينهون عنها لمحل الخلاف فيها لما تكلمنا بهذا التفصيل لكننا نعلم علم اليقين ويعلم هؤلاء الرهط أنهم ما تكلموا بهذا الكلام لينكروا منكرا بل ما تلكموا به إلا ليصوروا الشعب الموريتاني على نحو ما يشتهون من الأوصاف.

وأما الخلاف فيها فلا يرجع إلى كونها من السحر أم لا فهذا لا وجه له فالسحر لا يتناولها إلا على طريق تعريف ساذج مفاده أن كلما لم نفهم فهو سحر وهذا لا يقوم إلا على قاعدة من جهل شيئا عاداه وإنما يرجع الخلاف في جوازه من حيث تأثيره أو لا تأثيره فمن أثبت تأثيره يجيزه لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم (من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل) والحديث

سيأتي بتمامه إن شاء الله وأما من لم يثبت تأثيره فيراه حراما من حيث هو فعل لا فائدة فيه وغير مأثور شرعا.

3. **الرقيا:** وهذه هي أوسع ما يمارس هناك وهي المعتمدة دون ما سواها مما سبق فكل ما سبق عبارة عن ممارسات بعض الزنوج غير العارفين ولا الملتزمين بدينهم وبعض البيض أيضا وقد وصل كل ذلك من غانة أجداد الحسن النسابة كما أشرت سلفا والرقيا هناك لا نعلم فيها إلا ما هو مشروع من تلاوة القرآن والعزائم وهي أدعية محضة وأذكار وهي مجرد تكرير لواحد من أسماء الله الحسنى وكتابة القرآن وشربه وتعليقه وهذا يمارسه المسلمون في كل زمان ومكان إلا من كان منهم غارقا في العلمانية فهذا لا يؤمن بالرقيا ولا يؤمن بقوله تعالى ﴿وننزل وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ الرُّقَى فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنْ الْعَقْرَبِ فَإِنَّك نَهَيْتَ عَنْ الرُّقَى قَالَ فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ فَقَالَ مَا أَرَى بَأْسًا مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وإذا تأملت في هذا الحديث وجدت أن القوم إنما كانوا يرقون في الجاهيلة بكلام يؤلفونه فعرضوه على الرسول صلى الله عليه وسلم فلما تبين له أن الكلام لا دعاء فيه لغير الله أقره رقية صالحة ثم قرر في ضوئها أن من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل مفاده أن كل نافع مجرب تجوز به الرقيا إن لم يكن فيه شرك وهذا واضح جلي لأن الرقيا لا تعني تأثيرا للراقي وإنما تعني دعاء واستجلابا للنفع من الله بأسباب من دعاء أو ما يقوم مقامه قال بن حجر في الفتح "وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ الرُّقَى عِنْدَ اجْتِمَاعِ ثَلَاثَةِ شُرُوطٍ أَنْ يَكُونَ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَوْ بِمَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ مِنْ غَيْرِهِ وَأَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ الرُّقْيَةَ لَا تُؤَثِّرُ بِذَاتِهَا بَلْ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَاخْتَلَفُوا فِي كَوْنِهَا شَرْطًا وَالرَّاجِحُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ اعْتِبَارِ الشُّرُوطِ الْمَذْكُورَةِ فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ فَقَالَ اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الرُّقَى فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا

رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرَبِ قَالَ فَعَرَضُوا عَلَيْهِ فَقَالَ مَا أَرَى بَأْسًا مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ وَقَدْ تَمَسَّكَ قَوْمٌ بِهَذَا الْعُمُومِ فَأَجَازُوا كُلَّ رُقْيَةٍ جُرِّبَتْ مَنْفَعَتُهَا وَلَوْ لَمْ يُعْقَلْ مَعْنَاهَا لَكِنْ دَلَّ حَدِيثُ عَوْفٍ أَنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنَ الرُّقَى يُؤَدِّي إِلَى الشِّرْكِ يُمْنَعُ وَمَا لَا يُعْقَلُ مَعْنَاهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى الشِّرْكِ فَيَمْتَنِعُ احْتِيَاطًا".

غاية ما في الباب هو الاحتياط في ترك ما لا يفهم معناه وهذا هو أكبر شيء في الباب فلا وجه بعد هذا للخلاف و أما عد هذه الأشياء من الشرك فهو أمر تابع لهوس من الشرك والكفر والفسق والبدعة التي تعود عليها اللسان حتى صارت عنده كذكر الله أو أشد ذكرا ولا يعدوا كلاما لا فائدة من ورائه ولا تحقيق عند صاحبه من فقه و لا دليل بيد أنه يستخدمه لتشويه المجتمعات والجماعات التي يعتبرها ضد ثقافته أو هواه على الأصح إذ لست ثمت ثقافة ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾.

نحط الرحال عند الصفحة 125 حيث الفصل الثاني من هذا الكتاب و لمَّا يزل موضوعه الحملة على موريتانيا الحبيبة والدور الآن جاء للأنساب والطعن فيها تلك الفكرة التي كانت قد غابت عن الحسن عندما ألف كتابه الحقيقي (الجزء الأول والثاني) قبل أن "يلبسه ـ أبو عمر ـ من دائه ما تلبسا" عنوان هذا الفصل شعار هو "الذب عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم" وقبل أن نعرض مضمون هذا الفصل لا بد من فقرة من فقراتنا:

اقرأ واضحك

قال ابن قتيبة رحمه الله في كتابه عيون الأخبار "كان رجل من المتزمّتين لا يزال يعيب النبيذ وشرابه فإذا وجده سرّا شربه؛ فقال فيه بعض جيرانه:

وعيّابـــة للشّــرب لـــو أنّ أمّـــه　　　تبـول نبيـذا لـم يـزل يسـتبيلها

رحم الله النسابة الحسن ما أشبهه بهذا المتزمت يُعَنْوِنُ فصلا بالذب عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطعن في كل الذين ينتسبون له ثم يدعي نسبه لملوك مدينة من المعروف أن أهلها مجوس زنوج يعبدون الدكاكير وهم إلى ذلك سحرة فاقرأ واضحك.

نعود إلى ما كنا فيه يتناول هذا الفصل ادعاء النسب في آل البيت وخصائصهم وتحريم الانتساب إلى آل البيت بالكذب وكثير من المطولات هي بمثابة لحاف لقضية محورية هي أن كل الشرفاء في موريتانيا لا أصل لهم وأدعياء كذابون هذا هو ملخص الملخص وقد بلغ هذا الفصل في الكتاب الصفحة 227

ثم يأتي الفصل الثالث من الكتاب وهو تحت عنوان "نسب العلويين" ويفتتحه مؤلف الكتاب بعملية سطو وسرقة فاضحة وقرصنة على أفكار الناس منقطعة النظير استهلها بالقرصنة على موقع إلكتروني هو "جمعية تنزيه النسب العلوي" فقد نشر هذا الموقع على صفحته فقرة من رسالة في علم الأنساب جاء فيها "أما بعد فإن علم النسب من أجل العلوم قدرا، وأرفعها ذكرا، وقد ذكر النسابون فيه ألغازا لا يهتدى إليها إلا من أطال دراسة الانساب" ينقل الحسن هذه الفقرة بالحرف ثم لا يحيلها إلى الموقع الذي نشرها ثم يأتي بكلمات أخرى مأخوذة من منتدى "الاتحاد العالمي لأمناء النسب الشريف" نصها "ويتداولون في كتبهم اصطلاحات خاصة واشترك في استعمالها مصنفوا المشجرات والمبسوطات وقد يجهل معانيها" ثم يغير الفقرة بكلمة من عنده .

فاقرأ واعجب.

ثم يواصل عملية السطو على الموقع " جمعية تنزيه النسب العلوي" فيقول " ومنها قولهم (صحيح النسب) وهو الذى ثبت عند النسابة بالشهادة وقوبل بنسخة الاصل ونص عليه بإجماع المشايخ النسابين والعلماء المشهورين بالامانة والعلم والصلاح والفضل وكمال العقل وطهارة المولد"

ثم يواصل الحسن عملية صطوه الواسعة النطاق فيضع عنوانا هو:

مقبول النسب:

ولما اكتشف الحسن ـ وهو متلبس بجريمة السرقة على هذا الموقع ـ أن الفقرة التي يقدم تحت هذا العنوان لا توافق هواه وتقر أنساب الناس الذي ينفي أنسابهم عمد إليها وغيرها تغييرا عجيبا يظهر من خلاله احتراف الرجل في تزييف الحقائق والسرقة العلمية الفاضحة وإليك نص الفقرتين:

حسب ما نشر الموقع المجني عليه من طرف الحسن وأصدقائه طبعا قال حول مقبول النسب "فهو الذى ثبت نسبه عند بعض النسابين وأنكره آخر فصار مقبولا من جهة شهادة شاهدين عدلين فحينئذ لا يلتفت إلى خط نسابة لم يكن منصوصا عليه من بعض المشايخ النسابين إن نفى أو ألصق، فحينئذ لا تساوى مرتبته بمرتبة من اتفق عليه إجماع النسابين ولا يرجع إلى قوله"

انتهى ما كتبه الرجل المجني عليه من طرف الحسن ورفاق دربه في التلصص العلمي وهو بهذا النص يؤكد على أن من شهد على صحة نسبه عدلان لا يلتفت بعد ذلك إلى كتابة نسابة ولا يرجع إلى قوله ولما علم الحسن أن أنساب الموريتانيين كلها مشهود عليها من الكافة عن الكافة لم تسغ له هذه الفقرة على حالها فغيرها كما يلي وسوف أضع لك خطا تحت محل الاتفاق بين الفقرتين حتى تتبين أن الفقرة الموجودة في كتاب الحسن مسروقة ومغيرة.

يقول الحسن بن موسى بيدي في الفقرة المسروقة المحرفة:

"فهو الذى ثبت نسبه عند بعض النسابين وأنكره بعض ولكن أقام صاحب البينة الشرعية بشاهدين عدلين فهو مقبول من جهة البينة الشرعية فحينئذ لا يلتفت إلى خط نسابة لم يكن منصوصا عليه من بعض المشايخ النسابين إن نفى أو ألصق ، فحينئذ لا تساوى مرتبته بمرتبة من اتفق عليه إجماع النسابين ولا يرجع إلى قوله"

هكذا يمارس الحسن وأصدقاءه السرقة في كتب المؤلفين يغيرونها ـ وإن بهذه العبارات الركيكة التي لا يفهم لها معنى ـ كما أرادوا ويدعون منها كما أرادوا ولا يعزونها إلى مراجها حتى لا يُرْجَعَ إليها فَيُكْشَفَ المستور.

إني أؤكد للحسن ولأصدقائه أنهم لن يتمكنوا من الإفلات في أي سرقة ينفذونها في كتب العلماء أو حقيقة يزوفونها من حقائق الأِشياء مما يتعلق بتشويه الوطن والجناية على ساكنته وجميع المسلمين إن شاء الله فنحن لذلك بالمرصاد.

يواصل القوم سطوهم على فقرات الرجل فيخالفون بين العناوين تقديما وتأخيرا ظنا منهم أن ذلك يخفى على الباحثين أنها فقرة مسروقة فيضع الحسن عنوانا هو:

"مشهور النسب" ثم يعقبه بعنوان آخر هو :"مردود النسب" مع أن الترتيب في الرسالة المسروقة مردود النسب أولا.

المهم أن طريقة السطو لا تختلف كثيرا عما عمل في الفقرة السابقة تقديم وتأخير وتغيير لبعض العبارات بعبارات أرك منها كثيرا وإبقاء الباقي على حاله.

ونغادر هذا الفصل المملوء بأرذل الأخلاق الذي يستهله صاحبه بأخس سلوك ألا وهو السرقة لأفضل مملوك ألا وهو العلم والانتاج الفكري.

من هنا يعرج الكاتب على تتبع أنساب ونسخ الأشراف في موريتانيا لينفيها بنظرياته السخيفة وسنتعرض لهذا الموضوع في فصل خاص به فيرجع إليه هناك وبهذا نكون قد ختمنا الجولة حيث لم يبق من الكتاب إلا مطولات وترهات يدعي فيها الحسن أنه شريف من ولد صالح بن عبد الله بن موسى وهذا الاسم لا وجود له ثم يحكي أخبار أجداده ملوك غانة وقد تعرضنا لهذه الدعوى الأحدث من نوعها في العالم ضمن فصل خاص بغانة وملوكها ونقاش أدلة هذه الدعوى وهذه الأفكار التي مررنا بها هي المقابل الذي دفعه الحسن من أجل طباعة كتابه أو على الأقل تحمل نصف تكلفة الطباعة وقد كان فيها من الخاسرين.

إن بقية الكتاب نمسك عنها لأنها لا تتضمن جديدا فهي عبارة عن فصول من كتب ينقلها الحسن من كتبها ليدرجها في كتابه لا تتعلق في أكثرها بموضوعه فهي من التطويل الممل وهي على النحو التالي:

من صفحة 240 إلى صفحة 268 من كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم ومن المضحك أنه في نهاية هذا النقل يضع رقم تعليق ثم يحيل على الصفحة 37 من الجمهرة في حين أنه أورد سبعا وعشرين صفحة من هذا الكتاب.

ومن الصفحة 268 إلى272 عبارة عن مشجرات لبعض آل البيت لست أدري لماذا أوردها هل لأنها تدل على نسبه أم ماذا؟

ومنها إلى صفحة 332 يتعرض لأنساب الأشراف الموريتانيين فيما يدعي هو أنه أمور تطعن في أنسابهم ومن هذه الصفحة ودون سابق إنذار يأتي بخمس صفحات توصل الكتاب إلى الصفحة 340 بمقال جيد السبك حسن العبارة أحلف بالله ما جاء من دماغ الحسن ولا من واحد من رفاقه يبين صاحبه بطلان نسب أسرة باعلوي الحضرميين لكن الحسن بن موسى بيدي لم يشر إلى صاحب المقال لكنك ستصعق عندما تعلم أن هذه الصفحات الخمسة من ألفها إلى يائها كتبها رجل يسمى مراد شكري وهي منشورة على عدة منتديات إلكترونية منها ملتقى حضرموت وغيره وهذه صورة ثانية من أبشع صور السرقة والاحتيال ثم يعالج القضية بعنوان يقول فيه "تعليق على ما كتبه صاحب رسالة قريش في الأردن عن نسب باعلوي" إننا أيها الحسن بن موسى بيدي كنا بحاجة أول الأمر أن نعرف من هو صاحب ذلك المقال كما أن هذا العنوان لا يشير إليه ولا من هو لأنه يعرفه بكتاب ولا "هكذا تورد يا سعد الإبل" فليست هذه طريقة يعرف بها المؤلفون وأصحاب الأفكار ثم يصل الحسن بن موسى بيدي إلى الصفحة 357 واصلا إلى الفصل الرابع من الجزء الثالث يبين فيه نظريته الفاسدة حول انحصار الساكنة في موريتانيا في البربر والزنوج أصلا مع ما انضاف إليهم من عرب المعقل أخيرا ليدعم بذلك نظريته في نفي أنساب الناس حتى إذا وصل إلى الصفحة 396 قيض الله له قرينا اسمه أبو عبد القادر حمنين بن الطيب يكتب له نبذة عن نسب البربر وصنهاجة ولو أن الحسن بن موسى بيدي كان صدوقا جدا لقال إن صديقه الذي كتب له تلك النبذة هو العلامة ابن خلدون؛ ذلك أن أبا عبد القادر على ما يبدو جف ذهنه من الحروف إلا من أسماء المؤلفين وأرقام الصفحات والأجزاء وقد ابتدأ مقاله بإحالات لمؤلفين مختلفين نشكر له دقته في النقل حتى إذا تعب من ذكر الأسماء المختلفة عمد إلى تاريخ العلامة بن خلدون فقص منه فصولا كثيرة وأراح نفسه من معالجة العبارات ووضع الإشارات فجزاه الله "بما هو أهله" لقد أوصل الكتاب إلى الصفحة 436 حيث اقترب من نهاية الجزء الأول ثم يُعَنون الحسن عنوانا أيضا من تاريخ ابن خلدون ليختم به الجزء الأول من كتابه الثاني لقد أتعبهم الكتاب كثيرا أسأل الله العلي القدير أن يجزي بأحسن الجزاء العلامة بن

خلدون وتاريخه لقد صار هذا التاريخ النفيس حشوة لجثة هذا الكتاب الضخم العجيب المليء مما نسميه في الوطن بـ"اخروج".

وبعد هذه المعركة الكبرى مع حجم هذا الكتاب والمطولات التي ليست تابعة لعنوان الكتاب بدأ الحسن بن موسى بيدي مهمته بعد أن أنجز لرفقاء دربه ما وعدهم به من تلطيخ كتابه بأحقادهم على المجتمع الموريتاني وخبائث أفكارهم التكفيرية الداعية إلى الفتنة المخالفة للكتاب والسنة يأتي الحسن إلى فكرته الأصيلة وشهوته الراسخة وهي تحقيق نسبه في آل البيت فيجعل الفصل الأول من الجزء الرابع هو "تحقيق نسب بني صالح" ثم يتحدث في الفصل الثاني عن دولة الأئمة في فوته تور على حد وصفه وفي الفصل الثالث يتكلم عن إمارة بني صالح في إقليم دمت ثم يحاول بالسياسة الفاشلة استعطاف القبائل العربية بوضع فصل لتحقيق نسب بني حسان ... للشرف وفي الفصل الخامس يختم بحياة العلامة محمد صالح بن عبد الوهاب.

ونحن نرحب بهذا الجزء الأخير من هذا الكتاب إلا ما يتعلق منه بشرف ملوك غانة السحرة من أمثال تتنكامنين وبس وأحفادهما من بعدهما فإن الشرف في أهل السحر لا أظن أحدا يقبله إلا إذا كان مخدرا أو مجنونا فإن الحسن يصر على أنه حفيد ملوك غانة فأنا أؤكد للحسن أن ملوك غانة لا يزيدون عن كونهم سحرة مجوسا من عبدة الدكاكير خاصة في آخر القرن الخامس هكذا وصفهم كل المؤرخين والحسن يعرف ذلك جيدا والحمد لله رب العالمين.

الباب الثاني: الانساب الادعاء والنفي

الفصل الأول:

أسطورة كمبي صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن.

انطلاقا من أصوله في التعلق باللفظ دون المعنى، وقبوله بأدنى درجات ما هو من جنس العلم كالوهم والشك جَزَمَ مؤلف الكتاب أن كمبي صالح معناها مدينة صالح وأن صالحا هذا الذي أضيفت إليه هو صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن رضي الله عنه وأنها كانت عاصمة مملكة غانة في بلاد السودان ثم وصفها كما وصف المؤرخون مدينة غانة بأنها مدينتان على ضفتي النيل ... إلى آخر ما تكلم به المؤرخون والجغرافيون عن مدينة غانة وخلاصة ما فعله أنه نزَّل ما وصفوا به غانة على مدينة كمبي صالح وادعى أنهم كانوا يقصدون بهذا الوصف مدينة كمبي صالح لأنها كانت هي العاصمة في ذلك الوقت وجميع حطام الأدلة التي يقدم لهذه النظرية المتهالكة هو:

1. الاسم. فحيث إن مدينة كمبي صالح قيل إنها كانت هي عاصمة غانة فصالح هذا هو جدنا الذي ننتمي إليه. ألا ترى إلى أنها مضافة إليه مقرونا اسمها باسمه؟ كَانْ. ومفاده أن هناك من مملكة مالي من يسمونه "كان" وهذا بزعم الكاتب تحريف لكلمة "خان" وهي كلمة مستعملة في باكستان بمعنى "السيد أو الشريف إذا قرنت بأحدهما " ووجه الدلالة في هذا على نسبنا في آل البيت أن صالحا قيل إنه كان في خراسان.

2. ما ذكره المؤرخون. من أنه كان بغانة ملك لقوم من العلويين يدعون بنو صالح فيما يقال و يوصف .

هذا هو أبرز الدلائل التي يقدمها الأستاذ هذا النسابة العجيب ونحن نعرض إن شاء الله لهذه الدلائل واحدا بعد واحد ثم نفصل القول على مدينة غانة ومملكتها جغرافيا وسياسيا على مر التاريخ لنعرف من خلال ما وصلنا من أسماء وسير ملوكها أيهم هو الذي ينتمي إلى النسب الشريف في اسمه أو رسمه أو سلوكه أو دينه أو أي شيء من تلك الأوصاف.

أما الدليل الأول: فإذا ما أبحنا لنفوسنا أن تكون كمبي صالح هذه مسماة على من أنشأها وهو رجل يدعى صالح أو بنوه من بعده فسموها عليه فإننا سوف لن نسمح لأنفسنا بالذهاب إلى اسم في خراسان لنربطها به لأنه مادام الدليل فقط هو الاسم فهناك اسم مطابق لهذا الاسم تماما مع أنه أقرب إلى جهتها وألصق بها من خراسان أو الحجاز فلا يجوز تجاوزه أبدا قال صاحب كتاب "صورة الأرض" وهو يتحدث عن آخر العمارة في المغرب الأقصى قال "وبسله رباط يرابط فيه المسلمون وعليه المدينة الأزليّة المعروفة بسلا القديمة وقد خربت والناس يسكنون ويرابطون برباطات تحفّ بها وربّما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون فى وقت وينقصون لوقت ورباطهم على برغواطه قبيل من قبائل البربر على البحر المحيط متّصلين بهذه الجهة التى سُقْت عمارة بلد الإسلام إليها يغزون ويسبون، وذلك أنّ رجلا كان يعرف بصالح بن عبد الله دخل العراق ودرس شيئا من النجوم وصلحت منزلته فى علمها إلى أن قوّم الكواكب وعمل التقاويم والمواليد وأصاب في أكثر أحكامه وكان له خطّ حسن وفهم بأطراف من العلم وعاد فنزل بينهم وكان بربرىّ الأصل مغربىّ المولد مضطلعا بلغة البربر يفهم غير لسان من ألسنتهم فدعاهم الى الإيمان به وذكر أنّه نبي ورسول مبعوث إليهم بلغتهم واحتجّ بقول الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ وأنّ محمّدا صلّى الله عليه وسلم نبىّ حقّ عربىّ اللسان مبعوث الى قومه و إلى العرب خاصّة وأنّه صادق فيما أتى به من القرآن والأحكام وإيّاه أراد الله عزّ وجلّ بقوله وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ووعدهم غير كسوف فوجدوه وأنذرهم غير شيء فأدركوه وأصابوه على حكايته فأفسد عقولهم ... ..." إلى آخر ما قال عن هذه النحلة وصاحبها صالح بن عبد الله.

كيف نجد صالحا بجانب كمبي صالح قريب منها جدا وهو بربري وكمبي صالح في بلاد البربر وهو زعيم و"يدعي أنه" نبي قوم وهي عاصمة ملك كافر ثم نبحث لها عن ملك يكون من آل البيت هاجر إلى خراسان لاجئا سياسيا من الحجاز.

فلو أن هذا متمسكا من الدليل وله قيمة في العقول لكان الأولى أن تكون كمبي صالح مدينة صالح بن عبد الله البربري المتنبئ لأن الكفار السحرة أحوج إلى

المتنبئين منهم إلى آل البيت ثم إن هذا المتنبئ أقرب إلي المدينة في المسافة والأرض أرضه وأرض قبيلة من البربر فلا وجه لتجاوزه ما دام الدليل في ذلك لفظ .

وإذا لم نقبل أن يكون هذا هو صاحب كمبي صالح فلن نفقد من هذا الاسم من هو أقرب بكثير من خراسان والحجاز فنذهب إلى صالح آخر من البربر فإن في البربر فرعا يسمى بنو صالح من زنارة قال القلقشندي ـ وكتابه مرجع مهم للكاتب النسابة العجيب ولعله أغمض إحدى عينيه عن هذا البطن علما أنه أخذ إحدى فقرات كتابه من فوق هذا السطر مباشرة ـ قال "بنو صالح أيضاً بطن من زنارة من البربر، مساكنهم ببلاد المغرب،"

بل إن هناك بنو صالح من صنهاجة قال ابن حوقل "وقد أعدت بهذه الصفحة وما يتلوها ذكر ما وقع اليَّ من أسماء قبائل صنهاجة وبطونها وأفخاذها وعصبتهم، وهم انكيتو وبنى ماركسن وبنى كاردميت وبنى سيغيت وبني صالح وبنى مسوفا وبنى وارت وبنى توتك..." إلى آخر ما عد من الأسماء.

هكذا يسقط هذا الاستدلال الذي لا قيمة له إلا عند من لا يميز بين العلم والخيالات في مستويات الإدراك.

واعلم أننا لم نأت بهذه المعلومات على وجه الاستدلال بها على من هو صاحب كمبي صالح وإنما أتينا بها من قبيل ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ فإذا كان دل له لفظ صالح في الاسم على صالح بن عبد الله الذي كان بخراسان يوما فإنه ليس أدل عليه من صالح بن عبد الله البربري الذي كان بالعراق يوما ثم رجع إلى قومه وتنبأ لهم بل هو أولى.

الدليل الثاني: وهو من جنس الدليل الأول تماما إلا أنه أبعد منه وهو كلمة "كان" فقد قال النسابة في فقرة خاصة بهذا الدليل الواهي إن أصلها خان حرفت إلى كان بلسان الزنوج الذين قدم إليهم جده المزعوم الشريف عبد الله كان بن صالح أو بن محمد بن عبد الله بن صالح قال ومعناها السيد أو الشريف وهذا غير صحيح فإن كلمة "خان" في خراسان معناها الملك الأعظم وليس معناها السيد ولا الشريف كما يحلوا للحسن .

أما الدليل الثالث: وهو رواية المؤرخين فإنا نوافيك بتحقيق هذه الروايات وإلى أين ينتهي سندها ومن أين خرجت وعلى أي شيء مستندها ثم نأتي بعد ذلك بما يفندها تفنيدا وافيا بعد أن نفرض صحتها .

كتب: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ) "صالح بن عبد الله: بطن من بني الحسن السبط، من العلويين، من بني هاشم، من العدنانية، وهم: بنو صالح بن عبد الله بن موسى بن أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن حسن المثنى بن حسن السبط. كانت لهم دولة ببلاد غانة، من بلاد السودان، من جهة البحر المحيط الغربي." ثم عقب بذكر مصدره فقال "(نهاية الأرب للقلقشندي مخطوط ق 131- 2)" إذا فهذا رجل مثل الحسن من أهل القرن الجاري نقل عن القلقشندي فروايته هي رواية القلقشندي بعينها ومن قبل هذا الناقل كتب عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: 1111هـ) "وَمِنْهُم بَنو صَالح بن مُوسَى بن عبد الله الثَّانِي ويلقب بِأبي الْكِرَام بن مُوسَى الجون وهم الَّذين كَانُوا ملوكاً بغانة من بِلَاد السودَان بالمغرب الْأَقْصَى وعقبهم هُنَالك مَعْرُوف".

ولم يبين هذا الكاتب مصدره في معرفة عقبهم فضلا عن زمن ملكهم بغانة ولا بين أيضا مصدر روايته ولا عمن نقلها فهي محمولة إما على القلقشندي أو غيره ممن سنأتي على ذكرهم وكذلك لم يبين لنا اسم ملك وهذا الملك الذي لا يعرف اسمه مفقود فإنه لا يكاد يرى ملك لا يعرف اسمه لا سيما من آل البيت الذين اشتغل الناس بأنسابهم حتى لا يكاد يرى منهم شخص إلا وقد دُوِّنَ نسبُه لشرفهم ببيت النبوة والرفعة عند المسلمين.

ثم تأتي رواية القلقشندية وهذا حسب التسلسل الزمني فبدأنا بآخرهم قبل المؤلف طبعا ورواية القلقشندي كالتالي " بنو صالح - بطن من بني الحسن السبط من العلويين من بني هاشم من العدنانية، وهم بنو صالح بن عبد الله بن موسى أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضي الله عنه.... كانت لهم دولة ببلاد غانة من بلاد السودان من جهة البحر المحيط الغربي، ذكرهم صاحب كتاب رجار في الجغرافيا. قال في العبر: ولعل صالح هذا

هو صالح بن يوسف بن محمد بن الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون المقدم ذكره."

إذا ها هو القلقشندي يسلم الرواية إلى صاحب كتاب رجار وابن خلدون وبهذا يكون عندنا سند أوله عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ) ينقل عن القلقشندي والقلقشندي ينقل عن ابن خلدون فعن من ينقل ابن خلدون تعال إلى ابن خلدون.

قال العلامة ابن خلدون "وكان بمدينة غانة من بلاد السودان بالمغرب مما يلي البحر المحيط ملك بني صالح، ذكرهم صاحب كتاب رجار في الجغرافيا. ولم نقف على نسب صالح هذا من خبر يعوّل عليه. وقال بعض المؤرخين إنه صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله الملقّب أبا الكرام بن موسى الجون، وأنه خرج أيام المأمون بخراسان، وحمل إليه وحبسه وابنه محمد من بعده، ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك في بلد غانة. ولم يذكر ابن حزم في أعقاب موسى الجون صالحا هذا بهذا النسب، ولعلّه صالح الّذي ذكرناه آنفا في ولد يوسف بن محمد الأخيضر والله أعلم".

هذه أول كلمة لابن خلدون عن هذه المعلومة التاريخية والنسبية المقطوعة ولا يخفى ما فيها من التشكيك في النسب خصوصا مع أن فيها ما يشبه الجزم بوجود هذا الملك ربما قد لا يكون في صالح المجهول وبعد هذه الكلمة بصفحات ليست بالكثيرة قال "ومنهم بنو صالح بن موسى بن عبد الله الساقي، ويلقّب بأبي الكرام بن موسى الجون، وهم الذين كانوا ملوكا بغانة من بلاد السودان بالمغرب الأقصى، وعقبهم هناك معروفون."

وفي هذه الفقرة يظهر من عبارات ابن خلدون الجزم بهذا الملك وهذا النسب بعد التشكيك في النسب ثم يمضي ابن خلدون في تأليفه وكأنه يتجدد له بالبحث والمراجعة شكوكه القديمة بشأن النسب مع شكوك جديدة بشأن الملك أصلا فيقول:"وذكر صاحب كتاب رجار في الجغرافيا أنّ بني صالح من بني عبد الله بن الحسن بن الحسن كانت لهم بها دولة وملك عظيم ولم يقع لنا في تحقيق هذا الخبر أكثر من هذا وصالح من بني حسن مجهول وأهل غانة منكرون أن يكون عليهم ملك لأحد غير صوصو".

هذه هي جميع عبارات ابن خلدون في الموضوع ويحاول النسابة العجيب أن يقول إن ابن خلدون أنكرهم أولا ثم رجع عن ذلك وجزم بهم والرجوع إنما يكون إلى الخلف وهو إنما أقر بهم في الصفحة السابعة والثلاثين بعد المائة من الجزء الرابع ونفاهم ونفا ملكهم في الجزء الخامس وقدم على هذا النفي الأدلة من الناحيتين النسبية بأن صالحا هذا مجهول لا يعرف بهذا النسب والناحية الملكية بأن أهل غانة لم يسمع عنهم أنه ملكهم غير صوصو لكن الرجوع في مدرسة الكاتب قد يكون معناه الذهاب إلى الأمام لأن التناقض هناك معمول به بل قد يكون من أصول الإيمان فيجوز مثلا توفي بالحجاز وله ملك بغانة وتوفي سنة 240 وملك 480.

وإن تعجب فالعجب أن يفهم هذا النسابة رجوع بن خلدون من النصوص السابقة ولست أدري أين جزم بهم؟ هل في قوله في الجزء الرابع" ولم نقف على نسب صالح هذا من خبر يعوّل عليه" أم في قوله في الجزء الخامس" وصالح من بني حسن مجهول وأهل غانة منكرون أن يكون عليهم ملك لأحد غير صوصو" فعن أي شيء رجع بن خلدون إذا؟ هل عن إنكاره لصالح نفسه؟ أم عن عدم ملك آله لغانة؟ إن أي شيء من علامات الرجوع لا تظهر من عبارات العلامة لكن انكار العلامة ليس مهما في حد ذاته فقد ينكر ما هو حق والمهم أن العلامة إنما ينقل ما ينقله عن صاحب كتاب "رجار" فما هو رجار؟ وما هو صاحب كتاب رجار؟ وما هو كتاب رجار؟

أولا :رجار:

قال الصفدي "رجار ملك الفرنج صَاحب صقلية هلك بالخوانيق سنة ثَمَان وَأَرْبَعين وَخمْس مائَة وَيُقَال فِيهِ أَجَارَ بِهَمْزَة بدل الرَّاء وجيم مُشَدّدَة وَبعد الْألف رَاء وَكَانَ فِيهِ محبَّة لأهل الْعُلُوم الفلسفية وَهُوَ الَّذِي استقدم الشريف الإدريسي صَاحب كتاب نزهة المشتاق فِي اختراق الْآفَاق من العدوة إِلَيْهِ ليضع لَهُ شَيْئا فِي شكل صُورَة الْعَالم...

إذا رجار هو نصراني ملك صقلية توفي في التاريخ أعلاه.

ثانيا: صاحب الكتاب:هو لأبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحسنى، المعروف ب (الشريف الإدريسى) (ت 560 هـ) قال في بغية الطلب " محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس (بن ادريس) بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الشريف الإدريسي، مؤلف كتاب رجّار، الفرنجي صاحب صقلية، وكان أديبا، ظريفا، شاعرا، مغرى بعلم الجغرافيا، صنف لرجّار الكتاب المذكور، ومن شعر الادريسي المذكور:

ليــت شـــعري أيـــن قبـــري	ضــاع فــي الغربــة عمــري
لـــم أدع للعـــين مـــا تشـــتاق	فــــــي بــــــرّ وبحــــــر

هذا ما نقله المحقق من خط ابن السابق الحموي.

ثالثا: كتاب رجار إن كتاب رجار هذا هو عينه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" قال الصفدي في الوافي بالوفيات "(الشريف الإدريسي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله)

ابْن إِدْرِيس بن يحيى بن عَليّ بن حمود بن مَيْمُون بن أَحْمد بن عَليّ بن عبيد الله ابْن عمر بن إِدْرِيس بن عبد الله بن الْحسن بن الْحسن بن عَليّ بن أبي طَالب الشريف الإدريسي مؤلف كتاب رجار وَهُوَ نزهة المشتاق فِي اختراق الْآفَاق وسوف يَأْتِي ذكر وَالِده فِي تَرْجَمَة جده)".

إذا الرجل جغرافي وأديب بارع من آل البيت التحق بملك النصارى وكان في خدمته من الناحية العلمية وقد هيأ له الملك الأدوات لذلك فلنأت على روايته ونصها كالتالي "وغانة مدينتان على ضفتي البحر الحلو وهي أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا وإليها يقصد التجار المياسير من جميع البلاد المحيطة بها ومن سائر بلاد المغرب الأقصى وأهلها مسلمون وملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو يخطب لنفسه لكنه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسي وله قصر على ضفة النيل قد أوثق بنيانه وأحكم إتقانه وزينت مساكنه بضروب من النقوشات والأدهان

وشمسيات الزجاج وكان بنيان هذا القصر في عام عشرة وخمس مائة من سني الهجرة"

وفي هذا النص ثلاث ملاحظات:

أولها : أنه قال فيما يوصف وهذه صيغة تمريض ليس فوقها إلا الكذب البحت

ثانيها: أنه لم يبين مصادره في ذلك.

ثالثها: أنه حدد لنا بالضبط بعض أعمال هذا الملك المنتسب لصالح و زمنه بالضبط..

قال الحسن في كلمة عنوانها "القول الفصل في نسب البربر" في الصفحة 379 من الجزء الثالث من كتابه: "اعلم وفقني الله وإياك لقبول الحق أن القائلين بعروبة البربر عامة وصنهاجة خاصة إنما اعتمدوا في ذلك على ما ذكره ابن الكلبي والطبري ثم قلدهما من جاء بعدهما من غير تحقيق وقد قدمنا ان ابن الكلبي لا يعتمد قوله في الأساطير التي سبقت عصر البعثة ولم ينص عليها الوحي وأما الطبري فقد ذكر عن نفسه أنه لا يلتزم الصحة في أخبار القرون السابقة لعهد البعثة ولم ينص عليها الوحي بل فوض حقيقة ذلك إلى من ينقل عنهم والعهدة إليهم" انتهى كلام الحسن بن موسى بيدي.

وأنا أقول: اعلم وفقني الله وإياك لقبول الحق أن القائلين بشرف حكام غانة من الزنوج إنما اعتمدوا فيه ما ذكره الإدريسي ثم قلده من جاء بعده من غير تحقيق إلا ابن خلدون فإنه حقق الموضوع ونفاه جملة وإن كان بأسلوب علمي لا ينفي الاحتمال المطلق ثم إن الإدريسي لم يجزم بالصحة في ذلك بل ذكره بصيغة التمريض "فيما يوصف" والوصف الكذب قال تعالى (سبحان الله عما يصفون) أي ما يقولون من الكذب على الله .

ومن هنا تعلم أن كل من ذكرهم الحسن ممن ذكر هذه القضية المظلمة بدئا بالمعاصرين كالشريف أحمد ضياء بن محمد الحسني ومحمد شاكر وأحمد شلبي وعاتق بن غيث البلادي وحسين مؤنس و عمر رضا كحالة ومحمد سعيد الكشاط

والمختار بن حاميد وابن سعيد وعبد الحكيم والوائلي إبراهيم وعلى طر خان وأحمد شكري وملاي إدريس الفضيلي ...وغيرهم ممن وافق الرواية بشرف القوم لا قيمة له من الناحية العلمية لأنه إنما يرجع إلى الرواية عمن قبلهم من أمثال القلقشندي وابن خلدون وهؤلاء أيضا لا يستطيعون أن يأتوا رواية واحدة قبل الإدريسي ثم الإدريسي لم يجزم بشيء وإنما قال "فيما يوصف" فكل هذه القضية حقيقتها أن رجلا من أهل البيت يقال له الإدريسي كان مصاحبا ومعظما جدا لملك نصراني في صقلية يقال له رجار ذكر مقولة سمعها غير واثق منها فما جعلها دعوى وقدم الدليل، ولا جعلها نقلا وصرح بالمنقول عنه وإذا كان الإدريسي هو أول من ذكر هذه القصة ولم يذكرها عن أحد ممن قبله وذكرها بصيغة التمريض لم يكن من معول عليها إطلاقا.

فيرجع هذا إلى ما ذكره الحسن نفسه من ادعاء السودان والبربر على حد سواء الانتساب في العرب قال الحسن ــ وهو ينقض غزله ـ في الجزء الثالث من تاريخه صحفة 359 " وبعد الثورة الدينية التي أحدثتها حركة المرابطين في البلد واعتناق الجميع للإسلام دخل البربر والسودان على حد سواء في سباق محموم نحو الانتساب للعرب ولم يستطع تدينهم الحيلولة بينهم وبين الانتساب إلى الأقيال من حمير والآساد من مضر"

وإذا كان الحسن نفسه يقر في هذه الفقرة أنه في زمن المرابطين وثورتهم اعتنق السودان الاسلام وصاروا ينتحلون النسب العربي فإن هذه الدعوى لا تعدوا ما شرحه الرجل بعينه دخل قوم من السودان في الاسلام في مالي وما وراءها من بلاد غانة فادعوا الانتساب في آل البيت هكذا يظهر.

يبقى في كلام الإدريسي ما ذكره من بناء القصر في هذا التاريخ إذ إن كل من قبله لم يذكر لنا تاريخا سواه والحسن يجزم أن القوم إنما تسنى لهم الملك في عجز المائة الخامسة فيلزمنا أن نرجع إلى غانة في هذا التاريخ أو ما يقرب منه لنعرف من هم ملوكها؟ هل هم من آل البيت أم إنهم سحرة من عباد الدكاكير؟.

ويجزم النسابة العجيب أن عاصمة غانة هي كمبي صالح الأثرية وأن هذا القصر الذي ذكر الإدريسي مبني هناك في كمبي صالح فتعال بنا إلى كمبي صالح.

فصول من تاريخ غانة، التي يقول الحسن بن موسى بيدي إنها هي كمبي صالح

1. أولا :مملكة غانة البداية والنهاية.

يجزم صاحب كتاب الاستقصا وغيره من المؤرخين على أن ما يذكر من ملك بني صالح لمملكة غانة قد انقرض في القرن الخامس أي (أعوام مابين 480 إلى 500 هـ بتغلب المرابطين عليها ثم من بعدهم صوصو إلا ما كان من قول صاحب نزهة المشتاق من ذكر بناء قصر أحد ملوك آل البيت هناك سنة 510 ومن العجيب أن هذا التاريخ هو الذي يقول الحسن بن موسى بيدي إن بني صالح تسنى لهم الملك فيه على حد تعبيره.

قال في الاستقصى في أخبار دول المغرب الأقصى "ثمَّ أَن أهل غانة ضعف ملكهم وتلاشى أَمرهم فِي الْمِائَة الْخَامِسَة واستفحل أَمر الملثمين المجاورين لَهُم من جِهَة الشمَال مِمَّا يَلِي البربر وزحف إِلَيْهِم الْأَمِير أَبُو بكر بن عمر اللمتوني فاتح الْمغرب ومستخلف يُوسُف بن تاشفين عَلَيْهِ حَسْبَمَا مر ذَلِك فِي أخبارهم فَلَمَّا رَجَعَ الْأَمِير أَبُو بكر إِلَى الصَّحرَاء غزا بِلَاد السودَان وَفتح مِنْهَا مسيرَة ثَلَاثَة أشهر وَاقْتضى مِنْهُم الأتاوات وَحمل الْكثير مِنْهُم مِمَّن لم يكن أسلم قبل ذَلِك على الْإِسْلَام فدانوا بِهِ ثمَّ اضمحل ملك أهل غانة بِالْكُلِّيَّةِ وتغلب عَلَيْهِم أهل مملكة صوصو المجاورون لَهُم واستعبدوهم وصيروهم فِي جُمْلَتهمْ"

إذا هذه هي حدود نهاية الدولة الصالحية المزعومة .

وأما عن البداية

فقد نقل الحسن نفسه سليل ملوك هذه المملكة في كتابه الذي بين أيدينا نقل عن أستاذ التاريخ الاسلامي بجامعة القاهرة في كتابه "الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا" ينقل عنه القول "ويتفق كل من بارت ودي لا فوس على أن قيام هذه الدولة كان عام 300 ميلادية وتأسيس هذه الدولة في رأي هذين الباحثين لا يرد إلى جهود الماندي إنما ينسب إلى تأثيرات وفدت عليهم من الخارج " ثم يقول بعد

فقرة ونقاط حذف "وكان أول ملوكهم يدعى " كان" اتخذ مدينة أوكار قرب تنبكتوا الحالية عاصمة له".

اقرأ واضحك

قبل أن ينقل الحسن هذه الفقرة عن هذا الدكتور قال "وإن كان قد التبس عليه اسم الملوك المؤسسين لغانة باسم كان فحصل له الوهم بذلك" وهو يعترض هنا على أن يكون أول ملوكها اسمه "كان" ثم نسب الرجل للوهم بذلك وأنا أنسب صاحبنا (الحسن) للوهم لأن الأستاذ الدكتور ذكر تأسيس المملكة قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم بحوالي أربعة قرون وأن "آوكار" عاصمتهم منذ ذلك الحين يوم تأسيس المملكة فكيف يدعي الحسن أن كمبي صالح مسماة على صالح بن عبد الله والغريب في الأمر كيف أورد هذا النص وهو يقضي تماما على فرضية كون كمبي صالح من تأسيس أبناء صالح أو مسماة باسمهم ولعل النسابة العجيب ظن أن قول الاستاذ "300" ملادية ظنها 300 بالتقويم الهجري فأورد النص ليستدل به على صحة مقالته مع بيان ما وقع فيه الرجل من الوهم في الاسم فقط .

لكن دعنا نسأل الحسن عن أول مملكة أجداده ونهايتها ثم ننظر بعد ذلك في المعطيات .

سؤال: متى هاجر بنوا صالح إلى غانة ؟

يجيب الحسن فيقول :في الجزء الثالث ص10 "وكانت هجرتهم من خراسان إلى بلاد غانة في صدر المائة الرابعة".

سؤال: متى تسلموا الحكم في غانة؟

يجيب الحسن فيقول في نفس الصفحة: "بيد أنه لم يتسنى لهم الملك بصفة رسمية إلا في عجز المائة الخامسة".

سؤال: متى توفي أبوهم صالح؟

يجيب الحسن: "إذ وفاة أبيهم صالحا كانت نهاية المائة الثالثة" أي 295 تقريبا.

سؤال: كيف تسلموا الحكم هل جاءوا فاتحين بجيش جرار أم ماذا؟

سؤال: هل دخلوا البلاد يوم كانت أهلها مسلمين فاحتفى المسلمون كعادتهم بآل الرسول الوافدين؟ أم إنهم دخلوا فأسلمت على أيديهم؟ أم إن الكفار يحتفون بآل الرسول صلى الله عليه وسلم.

سوال؟...

وقبل أن نتجاوز هذا المقام لا بد من أن نورد فقرة من فقراتنا :

إقرأ واضحك:

يقول الرجل فيما بينا أعلاه أن أجداده هاجروا في القرن الرابع ويقول قبل ذلك إن مدينة كمبي صالح إنما سميت بذلك لنسبتها إلى جدهم ثم في الجزء الثالث من الكتاب صفحة 118 يقول بيان الرسوم والحفريات التي تناولت كمبي صالح "أما ما سجلته لنا المصادر التاريخية عما شهدته المدينة من ازدهار ثقافي تمثلت نواته الأولى في تشييد اثني عشر مسجدا في القرن الثاني الهجري يضم كل مسجد مدرسة ويوجد بها قراء وفقهاء وطلبة علم وبلغ ذلك المد الثقافي أوجه خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين" ألا يرى الحسن أن هذه المدينة التي ما هاجر مؤسسوها إلا في صدر المائة الرابعة قد سميت وبدأ فيها المد الثقافي و المساجد قبل أن يولد جد صالح الذي يسمى موسى؟ فاقرأ واعجب.

نعود إلى موضوع مدينة غانة في كتب التاريخ.

إن أول من تكلم عن غانة بالاسم ـ حسب ما اطلعت عليه حتى الآن ـ هو ابن الفقيه في كتابه البلدان وقد توفي ابن الفقيه سنة 365 هـ قال "ومن طرقلة إلى مدينة غانة مسيرة ثلاثة أشهر مفاوز وقفار، وبلاد غانة ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل، كما ينبت الجزر ويقطف عند بزوغ الشمس، وطعامهم الذرة واللوبياء، ويسمّون الذرة الدخن، ولباسهم جلود النمور وهي هناك كثيرة."

هذا أهم ما كتب عن غانة و الذي ذكر مما يجب على القارئ أن يحتفظ به هو:

1. الذهب

2. وطعام القوم

3. ولباسهم:

4. والمسافة بينها وبين قرطلة والقفار التي في طريقها.

و الذي يظهر حسب رواية الحسن أن ابن الفقيه إنما كتب هذا في وقت يكون بداية لتواجد أبناء صالح في المنطقة وقبل تسلمهم للحكم.

رجل آخر تاجر من أهل العراق ألا وهو محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (المتوفى: بعد 367هـ) قال في كتابه "صورة الأرض" "وملك اودغست هذا يخالط ملك غانه وغانه أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال والمدّخرة من التبر المثار على قديم الأيّام للمتقدّمين من ملوكهم وله يهادى صاحب كوغه وليس كوغه بقريب من صاحب غانه فى اليسار وحسن الحال ويهادونه وحاجتهم الى ملوك اودغست ماسّة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام فإنّه لا قوام لهم إلّا به وربّما بلغ الحمل الملح فى دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين الى ثلاثمائة دينار،"

والذي جاء في هذا النص هو:

1. قضية الملك أي ملك غانة.

2. والتعاون القائم بين ملك أودغست وملك غانة

3. التبر وهذا مما ذكره ابن الفقيه

ثم نأتي على رجل فصل تفصيلا واسعا حول غانة وملكها وهو البكري قال في كتابه المسالك والممالك" وغانة سمة لملوكهم، واسم البلد "أوكار" واسم ملكهم اليوم- وهي سنة ستّين وأربعمائة- تنكامنين، وولي سنة خمس وخمسين. وكان اسم ملكهم قبله بسي ، ووليهم وهو ابن خمس وثمانين سنة، وكان محمود السيرة محبّا للعدل مؤثّرا للمسلمين، وعمي في آخر عمره، فكان يكتم ذلك عن أهل مملكته

ويريهم أنّه يبصر وتوضع بين يديه أشياء فيقول: هذا حسن وهذا قبيح وكان وزراؤه يلبسون ذلك على الناس ويلغزون للملك بما يقول، فلا تفهمه العامّة. و بسي هذا خال تنكامنين، وتلك سيرتهم ومذهبهم أنّ الملك لا يكون إلّا في ابن أخت الملك لأنّه لا يشكّ فيه أنّه ابن أخته وهو يشكّ في ابنه ولا يقطع على صحّة اتّصاله به"

وفي هذ النص يريحنا البكري من جمع المعلومات الجزئية حول المملكة والملك والمدينة واسم الملك ومتى ملك ومن كان ملكا قبله كما سوف يعطينا كثيرا من التفاصيل عن هذه المملكة وتأتي المعلومات المهمة في هذا النص على النحو التالي:

1. يتحدث عن كلمة "غانة" ماذا تعني وهذا شيئ مهم فقال إنها سمة لملكهم لا اسم لمدينتهم كما دأب عليه الكثير من الجغرافيين وقال معناها الناحية.
2. يعطينا بالتفصيل اسم المدينة فيقول "أوكار" ولعل العارف بأرض كمبي صالح حاليا أنها لا تبعد من أوكار إلا ما يناهز الخمسة عشر كيلوا مترا وهي كلمة مستعملة في المنطقة في الأرض ذات الرمال المعشبة.
3. يعطينا اسم ملكها لهذا العهد وهو "تنكامنين" وذلك سنة 460 ويقول قد تولى ملكهم سنة 455 فأين صالح وعبد الله بن صالح ومحمد بن عبد الله بن صالح من تكامنين؟.
4. يبين لنا من كان ملكا قبل تنكامنين فيقول إنه خاله المسمى "بسي" .

على هذا تكون كمبي صالح في سنة 460 ملكها كافر اسمه تنكامنين وقبله خاله اسمه بسي المدينة لا تسمى كمبي صالح إنما تسمى "أوكار" كما أنها لا تسمى غانة فغانة هي الناحية والمملكة.

ثم نتقدم مع البكري شيئا وهو يتحدث عن ملك بني صالح المزعوم.

" وتنكامنين هذا شديد الشوكة (عظيم المملكة مهيب السلطان). ومدينة غانة مدينتان سهليّتان إحداهما المدينة الّتي يسكنها المسلمون، وهي مدينة" صفحة 472 "كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدها يجمعون فيه، ولها الأئمّة والمؤذّنون

والراتبون، وفيها فقهاء وحملة علم. وحواليها آبار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون الخضراوات.

ويرى صاحبنا المؤرخ العجيب أن هذه المدينة التي يصفها البكري هنا هي بذاته مدينة صالح المسماة كمبي صالح والبكري ينص على أنها مدينة المسلمين تابعة لملك غانة وأما مدينة الملك فتبعد منها ستة أميال كما يأتي و صفها فهل كان بنو صالح وقتها ليسوا ملوكا أم إن الملك الحسني الشريف هو ذلك الكافر تنكامنين الذي يعبد الدكاكير كما سيأتي ؟ فاقرأ و اعجب.

ثم قال البكري " ومدينة الملك على ستّة أميال من هذه وتسمّى بالغابة «3» والمساكن بينهما متّصلة، ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط . وللملك قصر وقباب، وقد أحاط بذلك كلّه حائط كالسور. وفي مدينة الملك مسجد يصلّي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك. وحول مدينة الملك قباب وغابات وشعراء يسكن فيها سحرتهم، وهم الّذين يقيمون دينهم. وفيها دكاكيرهم (وقبور ملوكهم) ، ولتلك الغابات حرس ولا يمكن أحدا دخولها ولا معرفة ما فيها، وهناك سجون الملك، فإذا سجن أحدا فيها انقطع عن الناس خبره. وتراجمة الملك من المسلمين، وكذالك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه "

1. حول مدينة الملك قباب وغابات يسكن فيها سحرتهم.
2. السحرة هم الذين يقيمون دينهم
3. بعض الوزراء من المسلمين وكذلك صاحب بيت المال
4. وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه الوافدون من المسلمين على الملك.

من هنا كان جميع الأشياء التي تتعلق بالسحر مما يعثر عليه في سودان موريتانيا أو في بيظانها أصله من غانة هذه أو كمبي صالح على القول بأنها هي العاصمة أو "أوكار" على الأصح وفي نظري أنها ليست عاصمة وإنما مدينة قديمة اندرست وكانت أول البلاد التي توصل إلى أرض الذهب دون مفاوز أو قفار

وكانت تابعة لحكم غانة فسميت بها من قبل الوافدين التجار وكان فيها نائب عن ملك غانة الكبرى كما يقول الإدريسي .

فهل كان هذا الملك هو الذي ينتسب إلى صالح بن عبد الله بن حسن؟ اقرأ واعجب.

يواصل البكري فيقول بعد بيان كثير من صفاة هي أقرب إلى الشياطين منها إلى الانس فضلا عن المسلمين فضلا عن آل البيت فيقول " وديانتهم المجوسية وعبادة الدكاكير. وإذا مات ملكهم عقدوا له قبّة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره، ثمّ أتوا به على سرير قليل الفرش و الوطاء فأدخلوه في تلك القبّة ووضعوا معه حليته وسلاحه وآنيته الّتي كان يأكل فيها ويشرب، وأدخلوا فيها الأطعمة والأشربة وأدخلوا معه رجالا ممّن كان يخدم طعامه وشرابه وأغلقوا عليهم باب القبّة وجعلوا فوق القبّة الحصر والأمتعة، ثمّ اجتمع الناس فردموا فوقها بالتراب حتّى تأتي كالجبل الضخم، ثمّ يخندقون حولها حتّى لا يوصل إلى ذلك الكوم إلّا من موضع واحد. وهم يذبحون لموتاهم الذبائح ويقرّبون لهم الخمور."

مجوسية وخمر وخرافات وسحر أهذا هو الملك الذي ينتهي نسبه إلى آل البيت فاقرأ واعجب.

وبهذا نكون قد شبعنا من نفي هذه الأسطورة من الناحية السياسية لمدينة غانة فمن خلال النصوص المتقدمة فمنذ أول التاريخ إلى سنة 460 هجرية غانة عبارة عن زنوج من المجوس والسحرة يعبدون الدكاكير يفد عليهم بعض التجار من المسلمين لشراء الذهب ولا أثر هنا لملك مسلم فضلا عن رجل من العترة المباركة.

<u>هذا الادعاء كاذب من الناحية النسبية</u>

اقرأ واضحك

ذات ليلة قلتُ للحسن من أول ملوك غانة من آل صالح؟

قال: عبد الله بن صالح.

قلت: متى كان حكمه؟

قال: حوالي سنة 480 هـ.

قلت: إنك تقول في كتابك إن صالح توفي سنة 300 فهل يمكن أن ابنه عاش 180 سنة حتى حكم غانة سنة 480 !!!!

تردد شيئا ثم أخذ الكتاب فقال: لعله حفيده يدعى عبد الله بن محمد بن عبد الله بن صالح، ضحكتُ وسكتُ.

وقبل أن أشرع لك في هذا الموضوع ألخصه لك في التالي:

1. لا وجود لرجل اسمه صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون
2. السلسة بين عبد الله بن محمد بن عبد الله بن صالح الذي يزعم الحسن أنه ملك غانة الأول فيها سقوط بنحو ستة رجال حسب الحساب الزمني للسلاسل
3. هناك صالح بن موسى الثاني وعمه يدعى صالح بن عبد الله بن موسى الجون وخلط الحسن بينهما تلفيقا لنسخته.

ونحن قادمون بعون الله إلى هذه الأسطورة من الناحية النسبية لتعرف مدى بعدها عن الواقع فبعد أن تبين لك أنه منذ بداية التاريخ إلى منتصف القرن الخامس الهجري لا وجود لأحد من آل البيت ملكا في غانة وبعد أن عرفت أن أي مؤرخ قبل القرن السادس لم يذكر هذا الأمر جملة وأن مرده في الرواية على الإدريسي المتوفي سنة 560 وأنه لم يجزم بهذا بل قال فيما يوصف وتبعه على ذلك جميع

المحققين ممن نقل عنه ولم يبين عن من روى هذا الأمر تعال بنا إلى الأسماء والأبناء وتواريخ الوفيات وأماكنها لنعرف أين هذه المعلومات من الأسماء التي قدمها النسابة العجيب.

قال النسابة الحسن بن موسى بيدي: في النسخة التي يروجها :إن أباهم الذي قدم من خراسان إلى بلاد غانة وَ مَلَكَهَا ثم بنوه من بعده هو عبد الله بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وهذه النسخة هي التي أوردت بشأنها الطرفة أعلاه التي قلت فيها للحسن إن صالح توفي سنة ثلاثمائة حسب ما كتب هو بنفسه فكيف يكون ابنه عبد الله ملكا بعد ذلك بـ180 سنة فلما أخذ الكتاب ليحل الإشكال وجد أن له رأيين في عبد الله هذا الأول كما أوردناه أعلاه فهو باطل بما ذكرناه تماما.

والثاني كما كتبه على أنه مذهب آخر داخل الفقه التاريخي لمدينة صالح وحكامها أنه عبد الله بن محمد بن عبد الله بن صالح وإذا كان هذا الأخير هو الذي رد به الحسن إشكالنا فإننا سنعرض له بذاته إذ إن المذهب الأول بطل سلفا بما قصصناه وباعترافه هو نفسه مع أننا سنتعرض له بعد فالنسخة التي بين يدينا هي:

ملك غانة الأول المزعوم :

1. عبد الله
2. بن محمد
3. بن عبد الله
4. بن صالح
5. بن موسى
6. بن عبد الله
7. بن موسى
8. بن عبد الله

9. بن الحسن المثنى

10. بن الحسن السبط.

11. بن علي بن أبي طالب

اعلم أننا إذ نكتب هذه النسخة على هذا النحو إنما نكتبها على معنى الافتراض والتزاما بالموضوعية وإلا فنحن نجزم كل الجزم أن كل هؤلاء الرجال لا علاقة لهم بغانة ولا ملوكها وما عرفوا المغرب أبدا لكن الدعوى مهما كانت تفاهتها لا بد من مناقشتها على افتراض الصحة هذا هو مقتضى البحث العلمي.

هنا أقول إن الحسن لا يسعه ولا يجوز له أن يقدم لنا نسخة فيها انقطاع ولو برجل واحد لأنه إنما يطعن في نسخ الناس بالسقوط لا بغيره وإن عبر عنه بالقول إن فلانا لا يوجد في ذرية فلان من هنا تكون هذه النسخة باطلة من جميع الوجوه:

أولا: ليست تامة فإن عبد الله بن محمد بن عبد الله الذي يقول الحسن إنه ملك في آخر القرن الخامس بينه وبين علي بن أبي طالب عشرة آباء وهي لا تكفي إلا لثلاث مائة سنة ونيف ونحن أمام أربع مائة وتسعين سنة تقريبا فأين بقية النسخة أيها النسابة العجيب؟

أما إذا كان الملك الأول هو عبد الله بن صالح كما صرح بذلك في كتابه الجزء الأول والثاني فإن هذه تكون أكبر من أختها فنحن أمام سقوط بحوالي ستة أجداد لا نعرف عنهم أي شيء و أمام معجزة أخرى من طول العمر يعيش فيها عبد الله بعد وفاة والده 180 عاما وصار ملكا على غانة عام 480 فالسلسلة من هذه الناحية مضحكة.

ثانيا: لا وجود لمن يدعى صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن موسى

ولكي لا نطيل على القارئ الكريم بشيء من تعقيدات الأسماء التي قد لا تتميز إلا بعد جهد من التفكير نختصر المسافة بالتعلق بمحل الشبهة مباشرة وهو صالح في هذه النسخة فإن النسابة العجيب لما تتبعنا سلوكه في إنشاء هذه النسخة وجدناه سلوكا عنكبوتيا عجيبا؛ تعلق الرجل بنصين لم يتمعن في دراستهما جيدا فألف منهم أسطورة من خلال شيء من الافتراضات التي لا أصل لها إلا سوء فهم

الرجل للنصوص التي كتبها المؤرخون في أسماء الرجال وخاصة صاحب كتاب مقاتل الطالبيين .

النص الأول الذي تعلق به الحسن وورد فيه اسم صالح هو قوله في مقاتل الطالبيين "وقتل في الحرب التي كانت بين العلويين والجعفريين عالم بينهم لا يحصى، وقد ذكرنا بعض ما وقع إلينا من ذلك، فمنهم:...((وصالح) بن موسى بن عبد الله بن موسى.

قتلوا في حرب كانت بين إدريس بن عبد الله بن موسى وداود بن موسى الحسني)"

هذا هو النص الأول ويستخلص منه النسابة أن هناك رجلين :

أحدهما اسمه :صالح بن موسى بن عبد الله بن موسى وهذا صحيح على هذا النحو لكن النسابة سيحاول صرفه إلى أن يصير صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن موسى .

والثاني هو : إدريس بن عبد الله بن موسى بن عبد الله ومن عند إدريس هذا سيتحقق المأمول من خلال النص التالي فقد قال مؤلف الكتاب وهذا هو النص الثاني :

"وقتل صالح بن موسى بن عبد الله أخو إدريس: (محمد) بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن.(ومحمد) بن جعفر بن محمد بن إبراهيم الحسني."

وفي هذا النص يجد المؤلف ضالته في نسبة صالح لرجل يقال له عبد الله من خلال كونه أخ لإدريس في هذا النص التالي حيث يقول المؤلف " وقتل صالح بن موسى بن عبد الله أخو إدريس" فإذا كان صالح أخا إدريس وإدريس بن عبد الله بن موسى فهذا يعني أن صالحا بن عبد الله بن موسى وليس بن موسى مباشرة هذه هي النظرية بالضبط كما بينها الحسن بأسلوبه المعقد ثم يقول إن المؤرخين دأبوا على أن ينسبوا إدريس لأبيه عبد الله تارة وتارة لجده موسى ويرجح الكاتب من حيث يهوى أن الصحيح هو كونه بن عبد الله بن موسى لا كونه بن موسى مباشرة وكذلك صالح أيضا غير أن صالحا لم يذكره أحد إلا على أساس أنه بن موسى لكن

الدليل الوحيد على هذا الأمر هي كلمة المؤلف "صالح بن موسى أخو إدريس " وكلمته "إدريس بن عبد الله بن موسى" وهذا لا يعدو نسبتين مختلفتين ليست إحداهما بأولى من الأخرى.

المهم أن تحتفظ بمعلومة واحدة هي أن صالحا المذكور بن موسى على الصحيح بن عبد الله بن موسى الجون وأنه توفي بعد سنة 295 لأن الأحداث التي ماتوا فيها في حكم المقتدر بالله العباسي كما في مقاتل الطالبيين و المقتدر إنما حكم عام 295 إلى سنة 319 وبين هذا وذلك مات صالح هذا فقد يكون مات سنة 300 كما قال الحسن وقد يكون مات بعد ذلك وهذه هي المعلومة الوحيدة التي أطلب من القارئ الكريم الاحتفاظ بها .

نأتي إلى صالح آخر هو أخو موسى الثاني صالح بن عبد الله بن موسى الجون أي إنه عم صالح المتوفى سنة 300 ويحاول الحسن أن يجعله بن عبد الله وصالح هذا هو الخارج بخراسان كما نقل الحسن ذلك في عهد المأمون والمأمون بويع بالخلافة عام 197 هجرية فانظر مابين هذا وبين صالح المتوفى في زمن المقتدر سنة 300 ونحن هنا لم نزد على ما جاء في الصفحة 104 من الجزء الرابع من كتاب الحسن في شأن صالح عم صالح المذكور سوى ما تحاشاه الحسن ليلا يضر بنظريته وهو كون صالح الأخير الخارج أيام المأمون عم صالح الأول المتوفي أيام المقتدر سنة 300 مائة للهجرة وأما تاريخ خروجه ومجيئه للمأمون فقد ذكره على استحياء قال في مقاتل الطالبيين " كان محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى خرج بسويقة واجتمع له، وحج بالناس أبو الساج فقصده، وخاف عمه موسى بن عبد الله بن موسى أبا الساج على نفسه وولده وأهله، فضمن لأبي الساج تسليمه، وتوثق له بالأيمان والأمان، وجاء عمه إليه فأعلمه ذلك، وأقسم عليه ليلقين سلاحه، ففعل، وخرج إلى أبي الساج"

إن محمدا هذا ابنُ عم صالحٍ المتوفي سنة 300 وهو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى الجون وعمه المذكور الذي سلمه لأبي الساج هو موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون أبو صالح المتوفى في الوقعة المذكورة أعلاه ولا يكاد الحسن يميز بين هاذين الصالحين بل يمضي في التخليط بذكر كثير من الصالحيين حتى إذا ما اصطدم بكلام بن عنبة في عقب صالح بن موسى المتوفي 300 الرجل

الذي يحاول الحسن الالتحاق بنسبه عندها يلجئ إلى الخلط بين صالح هذا وصالح عمه الخارج في القرن الثاني أيام المأمون قال الحسن وهو يعالج المشي في هذا الظلام الدامس قال في الصفحة 109 :

"ثالثا صالح بن موسى الثاني ذكر ابن عنبة عن عقبه مايلي : (وأما صالح بن موسى الثاني) ويلقب الأرب وقال ابن طباطبا الأرت فأعقب من ابنه محمد ما سواه في (صح)" ثم إنه لما لم يَرُقْ للحسن ألا يكون لصالح ولدٌ غير محمد قال "قوله وما سواه في صح أي أن بقية أبناء صالح عنده موقوف على الثبوت وقد أثبتهم ابن خلدون رحمه الله بقوله وحبسه وابنه محمد من بعده ـ يعني صالحا ـ ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك في غانة" ثم يقول الحسن بن موسى بيدي وهذا مذهب الجمهور." ولأن الحسن يعرف أن بن خلدون يقصد بهذا النص صالحا بن عبد الله بن موسى الخارج أيام المأمون و المأمون إنما تولى الخلاف عام 197 و قضى فيها 27 سنة ويعرف أن ابن خلدون إنما نقله عن بعض المؤرخين وحكم بفساده لكنه تعامى عنه وأجراه ثم اقتصر من النص على بعض لا يظهر فيه الخلل ونحن نظهر لك هذا النص بكامله مع أننا قد نقلناه قبل بكامله أيضا قال ابن خلدون رحمه الله " وقال بعض المؤرخين إنه صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله الملقّب أبا الكرام بن موسى الجون، وأنه خرج أيام المأمون بخراسان، وحمل إليه وحبسه وابنه محمد من بعده، ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك في بلد غانة. ولم يذكر ابن حزم في أعقاب موسى الجون صالحا هذا بهذا النسب، ولعلّه صالح الّذي ذكرناه آنفا في ولد يوسف بن محمد الأخيضر والله أعلم."

لكن الحسن بن موسى بيدي أراد أن يستفيد من هذا النص من ناحيتين عبر عملية بتر فظيعة: إحداهما أنه جزم بأن صالحا بن عبد الله وليس بن موسى الثاني والثانية يريد أن يثبت للرجل عقبا من غير محمد المذكور وذلك أن محمدا بن صالح الذي ذكره ابن خلدون أنه ابن صالح وأنه حبس من بعده هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن وهو الذي قدمنا أنه سلمه عمه موسى أبو صالح جد الحسن المفترض المزعوم المتوفى أيام المقتدر ومحمد هذا توفي سنة 252 فلا شك أن أباه صالحا توفي قبل ذلك أيضا فيتضح أن ما يحاوله الحسن هو خلطة بين رجل وعمه في الوفاة وفي الأبناء وهكذا يُحْصُلُ الحسن على

نسخة ما أنزل الله بها من سلطان ولما لم يكن هذا الأمر يغيب عن عقل الحسن وهو الذي مشى في طول الكتب وعرضها يريد مستندا لهذه الدعوى قال في ذكر صالح العم ـ وهو يتجاهل أن يكون غير صالحا بن موسى ـ قال في الصفحة 29 من الجزء الرابع وأما ما ذكره ـ يعني ابن خلدون ـ من أن صالحا حمل بعد خروجه إلى المأمون بخراسان حبسه وابنه محمد من بعده إذا صح أنه حبس أيام المأمون بخراسان نكون قد توصلنا إلى أن صالحا عمر كثيرا حيث تجاوز عمره المائة والعشرين على الأقل وذلك أن المأمون خرج من خراسان متوجها إلى بغداد سنة 202 كما نص عليه اليعقوبي فإذا ما اعتبرنا أن صالحا حبس في حدود 201 أو 202 هـ لا بد أن يكون عمره وقتها لا يقل عن الثمانية عشرة أو العشرين لأنها عادة تكون أقل سن يكون الشخص فيها مؤهلا للخروج وبالنظر إلى وفاته فقد قررنا من قبل أنها في حدود نهاية المائة الثالثة وهي بالضبط سنة وفاة أخيه إدريس" انتهى هذا الكلام الطويل الذي كان يكفي منه سطر واحد على بيان هذا الموضوع وهو أن نقول توفي 300 وحبس أيام المأمون فلا بد أنه عاش أكثر من 120 سنة.. و ليس هذا إلا سوء فهم من الرجل فصالح المسجون هذا توفي ابنه 252 فليس و توفي هو قبل ذلك .

اعلم أنه مهما حقق المحقق في أنساب صالح وإدريس وصحح نسبهما وقارن فهذا ليس شيئا مما نحن فيه من دعوى ظهرت في بلاد السودان ولا يكون له وزن في تحقيق ذلك إلا على سبيل إنشاء الأنساب الكريمة في الأزمنة الحديثة والادعاء وخلاصة كلام المؤرخين والنسابين في هذا الموضوع أنه كتب في بعض الكتب أن ملكا في غانة لا يعرف اسمه قيل إنه من آل البيت فتعامل المؤرخون مع هذه الدعوى على حالها كخبر قابل للصدق والكذب ليس مستلزما للكذب بالضرورة غير أن طريقه مظلمة من ناحية التاريخ والأسماء والبلد أيضا فلم يبق إلا تخمينات سجلوها من كون هذا الملك المذكور الذي لا يعرف اسمه ولا نسبه إن صدق الاحتمال فقد يكون من ذرية فلان أو فلان بمعالجة أبناء موسى الثاني أو عبد الله بن موسى الجون من خلال ما ذكر من اسم صالح فوجدوا صالحين أو ثلاثة فربطوا بهم نسب القوم عن طريق عبارات الشك والتخمين نحو "فيما يوصف" و "فيما يقال" و "هذا الملك يدعي نسبا" و

"يقال إنهم" و "ذكر أنهم" ولا أظن أن غبيا يقبل نسبا إلا بدعوى ذات دليل أو رواية مصرح بسندها من الصادقين فأما الدعوى فحاصلة بلا دليل قطعا وأما الرواية فلا سند لها وما هي إلا كلمة "فيما يوصف" خرجت من الإدريسي يمكن أن يكون قصد بها دعوى أهلها ويمكن أنه قصد شخصا آخر قال ذلك لا نعرفه فالرواية لا سند لها والدعوى لا دليل عليها إلا هذه الأضاحيك التي كنا فيها منذ اليوم وأظن أن السكوت أحسن من انتساب في أهل البيت بالكذب.

نأتي إلى بقية النسخة وتبدأ فيما "يقال" و "يوصف" و "ذكر" بالشريف عبد الله خان القادم من خراسان.

ولا ينبغي أن يكون هذا هو الملك الأول بحسب الرواية لأنه إذا كان هو الملك الأول نقض ذلك قول الحسن إنهم هاجروا في النصف الأول من القرن الرابع ولم يتسنى لهم الملك إلا بعد مائة سنة فعلى هذا لا يكون مجال لملك هذا القادم فلننظر إذا من أولاده من يكون موازيا لسنة أربعمائة وثمانين ولن نجد من هنا أي بيان ولا خبر ولا مكتوب حول الأسماء ولا الوفيات لأن الحسن ورفاقه من هنا أظلم عليه النهار وننتظره حتى يطلع شمس نهار جديد في الأجزاء التي مازالت في صدره من كتابه هذا ونعود إلى المقارنة والتخمين لأنه مادام لم يبق إلا الرواية الشفوية فتلك ليست لازمة البطلان إلا أنها تحتاج إلى الاعتراف بها حتى تكون نسبا مشهورا كما قال الحسن في كتابه هذا في فقرتين مسروقتين كما سبقت الإشارة إليه يبين فيها الحسن أنواع الأنساب ومصطلحات النسابين فنقول:

إن النسخة التي يقدمها الحسن لنفسه تبدأ باسمه واسم أبيه ثم يتوسطها أسماء من محض أسماء الزنوج ثم تختم بأسماء عربية غير أنه إن قبلت جهالة الآباء والأسماء المرويين بالرواية الشفهية من العامة فإنه لا يقبل ذلك في الملوك لا سيما ملوك من آل البيت فإن آل البيت لا يعتبرون من عامة الناس وسواء في ذلك من كان منهم ملكا أو كان غير ملك لأنهم ناس شرفاء في أهل الاسلام فلا بد أن تكون تلك الأسماء الأخيرة التي منها ملوك غانة معروفين في من ملك غانة بل لا بد من أن يكونوا مدونين في الكتب بعبارة أوضح من "يوصف" و "يقال أن" وغير ذلك من عبارات الليل البهيم لكننا ما دام سند التحقيق قد انقطع ولم يبق في هذا الموضوع ما نحقق به الدعوى لم يبق إلا الرجوع إلى أصول الحسن نفسه التي

يرد بها أنساب الناس فإن أثبتت نسبه فذاك وإن جرفته مع ما جرفت من أنساب غيره فلا ملام علينا فإنما هي طريقته هو؛ جرف بها أنساب الناس فلتجرف نسبه أيضا معها وقد أُنْصِفَ من كيل له بمكياله وفي هذا المقام تأتي فقرة من فقراتنا :

اقرأ واضحك:

من الأصول التي يطعن بها هذا النسابة العجيب في أنساب الناس والبراهين الوهمية ما أورده في ذكر نسب تنواجيو قال في الصفحة 321 والتي تليها " ثم إن تنواجيو وأبناء عمهم إيداب لحسن يتشدقون بالهاشمية ويتبرؤون من أي رحم لهم في البربرية فمن أين يا ترى جاءت هذه الأسماء العجمية في آباءهم وهم الهاشميون الصرحاء؟

فأبوهم إدبدهس من ذريته إكدكنت فمن إكدكنت أهل ينتت".... ثم يقول " فمن أين يا ترى جاءت هذه الإسماء؟ ومن أي سماء نزلت؟ وعلى من أنزلت؟ و في أي زمان أو مكان ؟ هل في جزيرة العرب أم في مكان ما من المغرب لا يوجد فيه البربر" انتهى كلام الحسن

ووفقا لهذا المنطق النازي أقول: ثم إن الحسن وهو الذي يقول بأنه ولد صالح الحسني فمن أين يا ترى جاءت هذه الأسماء الأعجمية في آبائه وهو الهاشمي الصريح فمن آبائه موسى بيدي و صنب بن دمب بن بكاري بن إبراهيم بن حم بن يوسف بن انجب بن مود بن صنب بن مالك بن جكو بن راشد بن حم جلوط كان بن داوود بن يرو فمن أين يا ترى جاءت هذه الإسماء ؟ ومن أي سماء نزلت ؟ وعلى من أنزلت ؟ و في أي زمان أو مكان ؟ هل في جزيرة العرب أم في مكان ما من المغرب لا يوجد فيه الزنوج.

إن الجواب عن النسختين من جهة الكلام الموضوعي أنها نزلت من سماء اختلاط أجناس البشر بعضهم ببعض وفي أرض السوس الأقصى حيث تتاخم البلاد البربرية البلاد الأعجمية وحيث تاخم الجميع الفتح الإسلامي العربي فاختلط الجميع فلا جرم كانت هذه الأسماء فليس فيها ما ينفي نسبا وإذا سلمنا وفقا لأصول النسابة انتفاء نسب تنواجيو بهذا المنطق فإن نسبه ينطبق عليه ذلك قبل انطباقه

على غيره وهذا هو الذي يسميه البظان "كتبت لمگرمص" يخط الحروف وكلما خط حرفا مسحه ببعض أصابعه عن غير قصد.

اقرأ واضحك

في صورة أخرى من صور الضعف عند الحسن حيث يهدم كل نظرياته بنفسه يقول في معرض ادعاء الأنساب " ومن جهة أخرى فإن البلاد التي يزعم الأدعياء أنهم قادمون منها أغلب سكانها كذلك عجم والعرب فيها قلة وأهل البيت فيها أقل فإذا زعم الدعي أنه قدم من المشرق أو المغرب فنصدقه في أي نسب ادعاه ما لم يدع نسب أهل البيت وقريش فإن لهم أحكاما شرعية خاصة بهم" انظر صفحة 142\143 الجزء الثالث.

على هذه الفقرة لا يُصَدَّقُ الحسن في دعواه لأن آباءه قدموا من المشرق فلو أنهم أدعوا نسبا غير قريش وآل البيت لصح لهم ذلك أما إنهم ادعوا نسب آل البيت فلا يصدقون حسب أصول هذا النسابة نفسه فنسبه باطل بكلامه قبل كلامنا وكفى الله المؤمنين القتال.

لكن ما ذا لو كان آباء الحسن لا يدعون هذا النسب أصلا؟

وفي قاعدة أخرى من أوهى القواعد التي يطعن بها هذا الطعان في أنساب سكان الوطن طريقة مفادها : أنه يأخذ النسخة فإذا كان آخر آباءها لا يوجد في أبناء من نسب إليه حسب كتب الأنساب كان ذلك بالنسبة له دليلا على أن أولئك القوم لا ينتسبون إلى ذلك الرجل ومن ذلك أمثلة منها:

أن الحسن قال في معرض نفيه لنسب "لقوانين" "قرأت في كتاب "القبائل البيظانية في الحوض والساحل الموريتاني" سلسلة نسب طائفة انتسبوا إلى سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما وهذا عمود نسبهم (وهذه هي السلالة الشريفة لمن يقول بها : وقنان بن جعفر بن محمد بن سالم بن موسى بن العباس بن سهل بن تاج الدين بن عمران بن معقل بن زيد بن الحسن بن علي بن الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه" ثم يقول الحسن بن موسى بيدي " اعلم وفقني الله وإياك لقبول الحق أني طالعت عشرات كتب الأنساب وبخاصة أنساب أهل البيت رضوان الله عليهم فما وجدت لسبط رسول الله صلى

الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما ابنا يدعى "علي بن الحسن" على الرغم من اختلافهم في عددهم ..."

واعلم أن الفقرة عندما قرأتها حرت في الرجل ليس في اجترائه على نفي أنساب الناس إنما لشدة ما يجترئ هذا الرجل على الكذب في العلم لمحض الهوى ولست بمتكلم على عمود الكتاب في هذه الفقرة فراجع الأرقام والتعليقات أسفل الصفحة.

والذي يهمنا بيانه هنا ليس محل الكذب من هذا الكتاب وإنما هو القاعدة التي يبني عليها الرجل نفي أنساب الناس وهذه منطبقة على نسب الرجل فإن الرجل ينتسب إلى رجل اسمه صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون وهذا لا وجود له فليس موجودا صالح بهذا النسب عند جميع المؤرخين والموجود هو إما صالح بن موسى بن عبد الله بن موسى وإما عمه يدعى صالح بن عبد الله بن موسى الجون وما لفقه الحسن بين نسخة صالح العم وصالح ابن الأخ بحيث جعل صالحا بن الأخ اسمه منسوبا إلى جده عن طريق الخطأ فليس صحيحا بالمرة ثم إنه لا أحد يعرف حبيب الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الله لم يرد في كتاب أحد من أهل الأنساب ولا التواريخ ولا التراجم والطبقات ولا يعرف العائد الكناني أيضا من أي وجه في أي من كتب الأنساب وأما هلال الدمشقي المبتلى بهذا اللاصقة فسوف نبين من هو في فقرة من أكبر فقرات اقرأ واعجب.

من فقراتنا اقرأ واضحك:

يقول الحسن بن موسى بيدي تحت عنوان "شر البلية ما يضحك" في الصفحة 290 من الجزء الثالث من تاريخه.

"وإلى هؤلاء الأدعياء ادعت طوائف من بلدنا فزعموا أنهم من أبناء المولى علي السجلماسي وأبناء المولى علي السجلماسي لا يقرون لهم بذلك ولا يجترئ أحد منهم أن يواجههم بذلك وذلك ظاهر جلي فكيف يكونون من أبناء الملوك والملوك عندهم إحصاءات دقيقة بأبنائهم وأبناء عمومتهم ويعرفون مهاجريهم ومواطن سكناهم ثم كيف يهجر أبناء الملوك أرض ملكهم ويدفنون أنفسهم في رمال وصحراء غيرهم؟ هذا وأيم الله مثار السخرية والضحك"

ولست أدري أين ذهب عقل هذا الرجل عندما كتب هذه الفقرة ألا يدعي هذا الرجل أنه سليل أسرة من آل البيت كانت ملوكا في غانة يوما مَّا لم يأت مؤرخ واحد باسم ملك من هؤلاء الملوك ولم يسجل في أي من كتب الأنساب ذرية لواحد منهم ولا آباؤه ولا أعمامه فإذا كان الملوك لهم إحصائيات دقيقة فأين ذهبت إحصائيات ملوك آل البيت في غانة؟ إن هذه الفقرة إحدى الرصاصات التي يطلقها الرجل دون أن يعرف بالضبط أين تتجه في حين أنها تتجه أول ما تتجه إلى نظرياته وما يريد أن يقرره من إضفاء وصف الشرف على نسبه مع نزع صفة الشرف عن غيره في البلاد.

اقرأ واعجب.

هذه فقرة من نوع خاص تبين مدى تعمق هذا الرجل في التلفيق وأنه فاق فيه كل التصورات حتى إنه صار يلفق وهو نائم على ما يبدو أو سكران؛ يتكلم الرجل عن غانة في عهد الازدهار في عهد هلال الدمشقي ويقول إن هذا الملك هو الذي ذكر الادريسي أنه بنى قصره على ضفة النيل وزينه بالزجاج وغير ذلك فتحت عنوان "هلال الدمشقي والعصر الذهبي لغانة" يقول الحسن بن موسى بيدي " ـ ولا يستحي من الله ولا من الناس ولا من المثقفين حتى ويتكلم للناس وكأنهم أغبياء ـ يقول " في الصفحة 24 و25 والتي تليها من الجزء الثاني من تاريخه " فلئن كانت معلوماتنا شحيحة عن فترة تولي عبد الله وابنه حبيب الله وحفيده العائد الكناني الذي سبق وأن ذكرنا طرفا من حياته فإن معلوماتنا عن فترة تولي هلال الدمشقي عرش غانة أكثر وضوحا وجلاء حيث وصفه الشريف الإدريسي وهو يتقلب في ملكه بما يلي : ومن مدينة ملل إلى مدينة غانة الكبرى نحو من اثنتي عشرة مرحلة في رمال ودهاس لا ماء بها وغانة مدينتان على ضفتي البحر وهي أكبر بلاد السودان قطرا.... وأهلها مسلمون وملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن وهو يخطب لنفسه لكنه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسي وله قصر على ضفة النيل قد أوثق بنيانه وأحكم إتقانه وزينت مساكنه بضروب من النقوشات والأدهان وشمسيات الزجاج وكان بنيان هذا القصر في عام عشرة وخمس مائة من سني الهجرة وتتصل مملكته وأرضه

بأرض ونقارة وهي بلاد التبر المذكورة الموصوفة به كثرة وطيبا والذي يعلمه أهل المغرب الأقصى علما يقينا لا اختلاف فيه أن له في قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلا من ذهب تبرة واحدة خلقها الله خلقة تامة من غير أن تسبك في نار ولا تطرق بآلة وقد نفذ فيها ثقبا وهي مربطة لفرس الملك وهي من الأشياء المغربة التي ليست عند غيره ولا صحت لأحد إلا له وهو يفخر بها على سائر ملوك السودان وهو أعدل الناس فيما يحكى عنه ومن سيرته في قربه من الناس وعدله فيهم أن له جملة قواد يركبون إلى قصره في صباح كل يوم ولكل قائد منهم طبل يضرب على رأسه فإذا وصل إلى باب القصر سكت فإذا اجتمع إليه جميع قواده ركب وصار يقدمهم ويمشي في أزقة المدينة ودائر البلد فمن كانت له مظلمة أو نابه أمر تصدى له فلا يزال حاضرا بين يديه حتى يقضي مظلمته ثم يرجع إلى قصره ويتفرق قواده فإذا كان بعد العصر وسكن حر الشمس ركب مرة ثانية وخرج وحوله أجناده فلا يقدر أحد على قربه ولا على الوصول إليه وركوبه في كل يوم مرتين سيرة معلومة وهذا مشهور من عدله ولباسه إزار حرير يتوشح به أو بردة يلتف بها وسراويل في وسطه ونعل شركي في قدمه وركوبه الخيل وله حلية حسنة وزي كامل يقدمه أمامه في أعياده وله بنود كثيرة وراية واحدة وتمشي أمامه الفيلة والزرائف وضروب من الوحوش التي في بلاد السودان ولهم في النيل زوارق وثيقة الإنشاء يتصيدون فيها ويتصرفون بين المدينتين بها ولباس أهل غانة الأزر والفوط والأكسية كل أحد على قدر همته وأرض غانة تتصل من غربيها ببلاد مقزارة ومن شرقيها ببلاد ونقارة وبشمالها بالصحراء المتصلة التي بين أرض السودان وأرض البربر وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من اللملمية وغيرها."

ثم لا يكاد يفرغ الحسن من هذا الوصف حتى يصير شاعرا ويزهو وتأخذه حالة من النشو و الإعجاب فينشأ يتمنى أن لو كان على ساحل ذلك النهر بعد أن يخاطبه لا لوم عليك يا نهر إذ أبيت إلا أن تتوسط شطري غانة يقول الحسن بن موسى بيدي "هكذا يصف الشريف الإدريسي غانة الزاهرة العامرة غانة الفسيحة الشاسعة الواسعة غانة جنة الدنيا وزينتها غانة التي أبا البحر الحلو والنهر الجاري المتدفق المنهمر إلا أن يتوسط شطريها ويفصلها بمائه العذب ومنظره الخلاب كي يظل جلالها بجمالها منسابا فلا لوم عليك يا نهر ولا عتاب فليتني كنت موجودا

ساعتها لأستلقي على شواطئك الرملية البيضاء وأقلب نظري في سمائك الصافية الزرقاء ويكل بصري من النظر في سدرك المخضود وطلحك المنضود ..." إلى آخر تلك الوصوف. لما قرأت الفقرة تذكرت بيتا من قصيدة قالها بعض شباب الوطن في وصف بعض رؤسائنا السابقين يقول : واصل جنونك واستهتر وقل وصلت .. بلادنا ركب هذا العالم الراقي.

ولعل شخصا بريئا يقرأ هذا الكلام فيظن أن الإدريسي قال إن ملك غانة هذا الذي وصفه هو كما سماه الحسن "هلال الدمشقي" و أنا أطلع القارئ الكريم على من هو هلال الدمشقي هذا حتى نعرف أين هو من الملوك والقصور في بلاد السودان سنة 515 هـ .

قال بن عساكر في تاريخ دمشق "أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر قال قرئ على أبي عثمان البحيري أنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر الخفاف أنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد نا عبد الله بن هلال الدمشقي نا أحمد بن أبي الحواري قال سئل سفيان بن عيينة عن الزهد فقال من لم تمنعه النعماء من الشكر ولا البلوى من الصبر فذاك عندنا الزهد قال أحمد فقلت له قد يكون لا تمنعه النعماء من الشكر ويمسكها قال فضرب بمؤخر يده ساقي ثم قال اسكت من لم تمنعه النعماء من الشكر ولا البلوى من الصبر فذاك عندنا الزاهد"

ولست أدري ما إذا كان من المنطق أن يروي ولد لهلال الدمشقي عن أحمد بن أبي الحواري عن سفيان بن عيينة ثم يكون له ملك وقصر عام 515 هـ علما أن سفيان بن عيينة ممن أدركوا الإمام أبا حنيفة وتوفي سنة 197هـ .

وفي سير أعلام النبلاء نرى أن هلال الدمشقي جد رابع لرجل ولد سنة 489 هـ فهل يا ترى مد عمر هذا الجد الرابع حتى حكم غانة وبنا قصره سنة 515 هـ اقرأ واعجب.

قال الذهبي في السير في ترجمة عبد الواحد بن هلال الدمشقي " الشَّيْخُ الجَلِيْل، العَدْلُ، الأَمِيْنُ، المُسْنِدُ، أَبُو المَكَارِمِ عَبْدُ الوَاحِدِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ المُسَلَّمِ بنِ الحَسَنِ بنِ هِلاَلٍ الأَزْدِيُّ، الدِّمَشْقِيُّ.

سَمَّعَهُ أَبُوْهُ حُضُوْراً جُزْءاً مِنْ حَدِيْثِ خَيْثَمَة علَى الشَّيْخ عَبْدِ الكَرِيْم الكَفْرَطَابِيِّ.

وَسَمِعَ مِنَ: الشَّرِيْفِ النَّسِيْبِ، وَأَبِي طَاهِرٍ الحِنَّائِيِّ، وَأَبِي الحَسَنِ بنِ المَوَازِينِيِّ.

وَأَجَازَ لَهُ: الفَقِيْه نَصْر بن إِبْرَاهِيْمَ المَقْدِسِيّ، وَسَهْل بن بِشْرٍ الإِسْفَرَايِيْنِي، وَعَبْد اللهِ بن عَبْدِ الرَّزَّاقِ الكَلاَعِيّ.

وَكَانَ مَوْلِدُهُ: فِي جُمَادَى الأُوْلَى، سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ."

لا أشك أن الحسن سيقلد أحد أقطاب طريقته حيث كان يوما يحدث ببغداد في ملأ من الناس من بينهم يحيى بن معين وأحمد بن حنبل فروى حديثا قال حدثني يحيى بن معين و أحمد بن حنبل كذا وكذا وأورد حديثا لا أصل له فلما خرج قالا له من حدثك بهذا الحديث قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فردا عليه هذا احمد بن حنبل وهذا يحيى بن معين فرد عليهما كالساخر منهما أتظنان أنه ليس في الدنيا من أحمد بن حنبل و يحيى بن معين غيركما ؟.

سوف يدعي الحسن أن هلال الدمشقي هو واحد آخر لم يرد في الكتب "ولا يعرفه منا أحد "...." وقد يعزيه إلى عالم الآخرة فاقرأ و اعجب ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾

خاتمة:

خلاصة القول في هذا الموضوع أن الحسن بن موسى بيدي هذا النسابة العجيب حاول أن ينسج نسبا ونسخة من التَّمَعْقُلِ على الكلمات والمسميات والروايات الشفهية فحاول أن يجعل منطلق أسطورته اسم مدينة كمبي صالح فيجزم أن صالحا ذلك هو صالح بن عبد الله المزعوم وأن أبناءه قدموا من خراسان لذلك سمي عبد الله بـ"كان" كل هذا في المجلد الثاني لكن النظرية في الجزء الأول تختلف شيئا فإنه في المجلد الأول يحول القضية من خراسان إلى دمشق الشام ويقول إن أجداده قدموا من دمشق الشام وأسسوا المجتمع الدمشقي في بلاد موريتانيا عبر مدينتهم التي تسمى "دمت" وأنها مشتقة من دمشق كما أن كمبي صالح في الأسطورة الأولى منسوبة إلى صالح جده وإذا كان الحسن قد تناقض في البلاد التي هاجر منها أهله فجعلها تارة دمشق الشام وتارة خراسان فإنه أيضا في كل المعلومات جعل فيها من كل زوجين اثنين فالنسختان أيضا اثنتان إحداهما تنتمي لصالح بن عبد الله بن موسى والثانية تنمي لصالح بن اسماعيل بن يوسف الأخيضر.

وعبد الله أيضا اثنان إما عبد الله بن محمد أو عبد الله بن صالح ثم إن هما جميعا أيضا في النسختين اثنين لأنه إما عبد الله بن صالح ين إسماعيل بن يوسف الأخيضر أو عبد الله بن صالح بن عبد الله بن موسى الجون.

وكذلك محمد أيضا فلا يعرف هل محمد من أبناء صالح أم لا.

وليس صالحا أيضا عن ذلك ببعيد فإنه لا يعرف هل هو صالح بن موسى أم صالح بن عبد الله موسى.

ومن هذه الازدواجية يخلق الرجل النسخة وتاريخ قومه مستندا إلى ازدواجية أخرى ثقافية ودينية هي من صميم بنائه الثقافي وعبر التناقض الخَلَّاقِ الذي ملأنا منه فقراتنا الماضية يختلق الرجل هذا الكتاب الذي يمكن أن يقال فيه إنه أعجب كتاب كتب في تاريخ اختلاق الأنساب.

الفصل الثاني

النظريات العامة لإنكار الأنساب

قد سبق أن أشرنا قبل إلى نظرية المعرفة في الاسلام ـ وإن بشكل مقتضب ـ فقلنا إنها تنحصر في :

- المنقول : وهو الخبر فيراعى فيه إثباته (لمن هو له) إثباتا قطعيا أو ظنيا
- والمعقول وهو على ضربين حسب الشيء الذي يراد العلم به فإن كان ماديا فبمباشرة الحس وإن كان مجردا عقليا فبالاستقراء عن طريق دلالة الالتزام والقياس.

ولأن مدرسة النسابة بعيدة عن التكوين الثقافي المركز فإن كل ما أتعب فيه علماء الاسلام أنفسهم في تقريره وتمحيصه وتجربته حتى شيدوا منه نظرية عملاقة للمعرفة كل ذلك لا يستحق عندهم ولا كل من هو على شاكلتهم ـ أو هم على شاكلته بالأحرى ـ أن ينظر فيه ولا أن يُتَّخَذَ سبيلا للمعرفة ولا طريقا لها. لا لشيء إلا لأنهم أصلا لا يعرفون التَّقْعِيدَ ولا النظريات ولا القوانين و لا يفهمون أن هذا الكون من ألفه إلى يائه خلقه الله على نظام محكم تكتشفه العقول النيرة، لهذا يعتمد هذا النسابة الغضنفر في نفيه لأنساب بعض الموريتانيين على قاعدتين أساسيتين تبعدان ألفي ميل عن النظرية العامة للمعارف عند المسلمين وهما في نظره كالوحي الذي لا يكذب والقانون الذي لا يَنْخَرِمُ والقاعدة التي لا استثناء فيها:

القاعدة الأولى :أن سكان موريتانيا منحصرون في ثلاثة شعوب:

1. السودان لملاصقتهم مملكة غانة ومن بعدها مملكة مالي
2. صنهاجه وهم السكان الأصليون لهذا المجال الصحراوي
3. بنو حسان من عرب المعقل الذين وفدوا على البلاد في القرن الثامن

و إذا كان من استثناء في هذه القواعد فإنه يكون في هجرة الأسرة الصالحية على حد تعبيره.

وأي عنصر آخر ليس هؤلاء ليس من ساكنة هذه البلاد .

القاعدة الثانية: أن السلاسل التي يقدمها بعض أهل البلاد على أنسابهم لا توصلهم إلى الرجل الذي ينتسبون إليه إلا من خلال رجل لا يعد أو لم يعده بعض النسابين في أبنائه وهذا في عقل الرجل كاف في نفي أنساب الناس.

وقد أقدمنا على النظر في هذا الموضوع بعد أن مس الكثير من الناس اقتناعا مبدئيا بوجاهته شأن كل متقبل للخبر دون نقد أو تمحيص فوجدناه على خلاف ما وصف الرجل بل لا أساس له من الصحة وعندما يكون الخصم ضعيفا والنظر سطحيا و صاحبه عجولا لا يحتاج في رد أقواله إلى البحث خارج كلامه هو فإن ذلك يكون ترفا وزيادة في البحث وتكثيرا للرد والقضاء على هذه الحقائق المزيفة التي يبنيها التشهي أو التشفي في داخل الانسان.

نبدأ الرحلة في الجزء الأول من كتاب الرجل يفند ما يدعي بنفسه قبل أن نختم ذلك بجهودنا وبحثنا وكلام المؤرخين في هذا الموضوع.

أولا: نقض القاعدة الأولى:

قال النسابة العجيب وهو ينقل عن البكري في أول خطوة لنقض القاعدة التي تقول إن بلاد موريتانيا لا تعرف تواجدا إلا للفصائل التي بينا أعلاه يقول "وببلاد غانة قوم يسمّون بالهنيهين من ذرّية الجيش الّذي كان بنو أمية أنفذوه إلى غانة في صدر الإسلام، وهم على دين أهل غانة إلّا أنّهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم، فهم بيض الألوان حسان الوجوه" وهذا النص موجود في كتاب المسالك والممالك للبكري الجزء الثاني صفحة 877 وهذا أول خرق للقاعدة التي مشى عليها الرجل فقد وجدنا أن من العرب قوم كانوا يسكنون غانة منذ مطلع القرن الثاني الهجري.

ثم يقول بعد هذا بقليل وهو هنا ينقل عن رجل يدعى بانيكار فيقول "وكانت هذه الحملة هي الحملة المراكشية الأولى ضد دولة من دول غرب إفريقية بيد أن الحملة لم تصادف نجاحا وكان أحفاد الجنود يعيشون في هذه الأرض ويعرفون بالهنيهين وجاء الإسلام بعد ذلك عن طريق التجار وهجرات العرب والبربر إلى هذه البلاد حتى أصبح الإسلام موجودا في كل قرية وفي كل مدينة" ونكتفي هنا

بهذا القدر ولعل القارئ الكريم يطلب منا توضيح المرجع فنقول الجزء الثاني صفحة 12.

هكذا يدمر الرجل ما قال؛ "أحفاد الجنود الأمويين هناك" "واستمرت هجرات العرب والبربر إلى المنطقة حتى أصبح الاسلام في كل بلد"

وكانت أودغست أيضا فيها العرب إلى جانب زناتة كما نص على ذلك البكري قال البكري "وفي سنة ستّ وأربعين غزا عبد الله بن ياسين أودغست، وهو بلد (قائم العمارة مدينة كبيرة فيها أسواق) ونخل كثير وأشجار الحناء، وهي في العظم كشجر الزيتون، وهي كانت منزل ملك .... وكان يسكن هذه المدينة زنانة مع العرب وكانوا متباغضين متدابرين، وكانت لهم أموال عظيمة ورقيق كثير كان للرجل منهم ألف خادم وأكثر. فاستباح المرابطون حريمها وجعلوا جميع ما أصابوا فيها فيئا، وقتل فيها عبد الله بن ياسين رجلا من العرب المولّدين من أهل القيروان معلوما بالورع والصلاح وتلاوة القرآن وحجّ البيت يسمّى زباقرة، وإنّما نقموا عليهم أنّهم كانوا تحت طاعة صاحب غانة وحكمه"

وإذا كان النسابة قد أقر أن ذراري الجيوش الأموية موجودة بغانة و سلا أولا وأقر ثانيا بالهجرات العربية والبربرية إلى هذه المناطق ثانيا وهذا البكري يتحدث عن أودغست وأن فيها العرب إلى جانب زناتة فأين بعد هذا تكون هذه القاعدة ياترى؟.

ثانيا نقض القاعدة الثانية :

سبق لنا وأن بينا طرفا ونماذج من تطبيقات الحسن لهذه القاعدة وبينا كيف أنه في بعض الأحيان جانب الصدق وكيف أن كل أوجه تطبيقاته للقاعدة منطبقة على نسبه هو نفسه والذي يهمنا هنا هو التنبيه إلى أن هذه القاعدة لا قيمة لها في نفي النسب ولا تحقيقه ولم يعول عليها أحد في نفي نسب اشتهر إلى رجل ما ولا نذهب بعيدا في الشاهد على هذا الأمر فهذا ابن خلدون إمام المؤرخين يتحدث عن نفسه فيقول :

" أصل هذا البيت من إشبيلية انتقل عند الجلاء وغلب ملك الجلالقة ابن أدفونش عليها إلى تونس في أواسط المائة السابعة (نسبه) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون هذا لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هذه العشرة، ويغلب على الظنّ أنّهم أكثر، وأنه سقط مثلهم عددا، لأنّ خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس، فإن كان أوّل الفتح فالمدّة لهذا العهد سبعمائة سنة، فيكونون زهاء العشرين، ثلاثة لكل مائة، كما تقدّم في أوّل الكتاب الأوّل. ونسبنا في حضرموت من عرب اليمن إلى وائل بن حجر من أقيال العرب، معروف وله صحبة."

وهكذا لا يرى ابن خلدون انقطاع نسخته بعشرة آباء مسألة تضر انتسابه إلى خلدون وتلاحظ أنه اكتفى بذكر أصل البيت فتحدث عنه وساق ما يذكر من آبائه ثم قال والظن أن الساقط عشرة وإذا كان العلامة ابن خلدون لا يرى أنه قد نفى نسب نفسه بهذا السقوط الضخم فإن تعلق الحسن بمثل رجل أو رجلين أمر لا وجه له سوى الشهوة والتحكم كما أن عدم وجود اسم الرجل الأخير في النسخة في أبناء من نسب إليه لا يعني إلا خطئا في النسبة فقط ولا يعني إطلاقا انتفاء النسب كليا لأننا ننسب الرجل لجده الشهير حتى وإن كان بينهما عشرة آباء، فأنا على سبيل المثال أدعى سيد احمد بن السالك ولست ابن السالك مباشر بل سيد احمد بن محمد محمود بن محمد بن سيد احمد بن محمد الشيخ بن محمد بن باب السالك فبيني و إياه خمسة أجداد و يوجد منهم في عصري من هذه الأسرة من لا يعرف دون السالك هذا إلا أبا وا حدا أو اثنين و ليس ذلك بناف انتسابه للسالك هذا.

ومن البدهي في الواقع أن تجد شخصا لا يعد من آبائه سوى اثنين ثم هو مشهور بأسرة معينة لا يشك أحد في انتسابه لها بل إنك تجد البطون الكثيرة تنسب لشخص واحد مشهور دون أن يكونوا يعرفون آباءهم دون هذا الأب المشهور يقول بن خلدون " فإذا كان النّسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدّا بحيث حصل به الاتّحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجرّدها ووضوحها وإذا بعد النّسب بعض الشّيء فربّما تنوسي بعضها ويبقى منها شهرة فتحمل على النّصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه" فلا وجه على الإطلاق لهذه الفرضية و لا قيمة لها في علم الانساب وخير مثال لهذا نسخة بن خلدون التي قدمنا.

مثال آخر:

إنه مما لا يختلف عليه اثنان عروبة بني حسان والذي يترجح عند أغلب المؤرخين جعفريتهم وقد قدمت عنهم المراجع سلسة تتضمن عددا من الأفراد لا يكفي لسد الفترة الزمنية ثم إن فيها أسماء لم تتعرض لهم المصادر التاريخية فمثلا لا نجد موسى الهراج بن جعفر الأمير بهذه النسبة وإنما نجد أنه موسى بن محمد بن جعفر ثم إن الذي ذكروه لم يصرحوا بعقبه و إنما ذكره بن عنبة فقال "قيل له عقب يعرفون ببني الهراج " وقبله الفخر الرازي قال فيه بنفس العبارة و بعض المتأخرين قال إنه لم يعقب كما نقل ذلك الحسن عن جمل الليل خلال نقل هذا الأخير لمخطوط سماه "تحفة المحبين في نسب الطيارين" فقد نقل الحسن من هذا المخطوط في الصحفة 409 الجزء الرابع "وأما محمد العالم بن جعفر السيد بن إبراهيم الأعرابي فقد عقب ستة أبناء :

- موسى الهراج لم يعقب
- عيسى ...." هكذا كتب الحسن فهذا جد في سلسلة بني حسان الذين لا نختلف مع الحسن في شأن نسبهم غير أن الحسن يصرح ناقلا ومعتمدا للمعلومات أن هذا الرجل لم يعقب والفخر الرازي يقول قيل إنه عقب ولا يذكر اسم أحد من أبنائه وكذلك ابن عنبة ثم إنه ذكره بنسب ليس مذكورا به في النسخة المعتمدة عندنا ففي النسخة موسى بن جعفر وفي المراجع موسى بن محمد بن جعفر فهل ننفي نسب من اتفقنا على نسبه بهذا الانقطاع أو هذا الخطأ أو هذا القول الجواب لا إنما هو خلل يبحث فيه ولا يتضرر النسب به.

مثال آخر:نسب الأشراف السعديين:

سرد نسب السعديين على هذا النحو: زَيْدَانَ بن أَحْمد بْن مُحَمَّد بن أبي الْقَاسِم بن مُحَمَّد بن الْحسن بن عبد الله بن أبي مُحَمَّد بن عَرَفَة بن الْحسن بن أبي بكر بن عَليّ بن حسن بن أَحْمد بن إِسْمَاعِيل بن قَاسم ابْن مُحَمَّد النَّفس الزكية بْن عبد الله الْكَامِل بن حسن الْمثنى بن الْحسن السبط ابْن عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنْهُم.

ثم نقل الناصري في الاستقصا عن اليفرني إن في هذه النسب المسرود بتر ثم قال **"فَإِنَّهُ لَا يعرف فِي أَوْلَاد النَّفس الزكية من اسْمه قَاسم وَإِنَّمَا هُوَ قَاسم بن مُحَمَّد بن عبد الله الأشتر بن مُحَمَّد النَّفس الزكية وَلَعَلَّه سقط عَن ذُهُول من النَّاسِخ وَقيل الصَّوَاب إِنَّه قَاسم بن حسن بن مُحَمَّد بن عبد الله الأشتر بن مُحَمَّد النَّفس الزكية"**

فلماذا لا يقطع الْيَفْرِنِيُّ ببطلان هذا النسب الذي لَاحَظَ فيه البَتْرَ و الانقطاع ولما ذا لا يكون ذكر هذا البتر كافيا عند الناصري في نفيه هذا النسب إذا فرضنا أن اليَفْرِنِيَّ خائن للحقيقة.

ثم تحدث الناصري عن الطاعنين في هذا النسب فذكر أول ملوك العلويين محمد فتحا بن الشريف السجلماني وذكر المقري في كتابه نفح الطيب ثم قال إن المقري صرح بشرفهم في كتابه هذا وأما أنا فأفهم جيدا إنكار شرفاء سجلماسه للشرفاء السعديين وهو ما يكون على سبيل الندية والمغالبة فلا يعول عليه في إثبات الحقائق.

ومن هنا تفهم أن الاستخفاف بالنسخ التي قدمها الموريتانيون من حفظ أجيالهم كابرا عن كابر والطعن فيه أمر ليس بالوارد ولذلك لم يتعلق به أي مؤرخ معتبر في بلادنا ولا في غيرها خاصة وأن البلاد الموريتانية عبر عصورها التاريخية الحديثة أي منذ قدوم بني حسان إلى الحين لا تعرف أمر الكتابة كثيرا وإنما اعتمادها على الحفظ والذاكرة حتى في العلوم الدينية إن نوع الحياة البدوية الراحلة في القبائل الموريتانية عربية وصنهاجية هو الذي خلق معجزة الحفظ الموريتاني للنصوص العلمية بدءا بالقرآن الكريم مرورا بصحيح البخاري وانتهاء بالعاصمية والألفيات في النحو والبلاغة والأنساب والسير وغيرها وهكذا كان الموريتانيون يقدمون نسخهم النسبية أيضا من حفظهم إلى أشهر من اشتهر من آبائهم حتى صار اسما للقبيلة أو شاع أنه أبوها في الأوساط المحلية.

والعجب كل العجب من تصور استحالة صدق هذه النسخ مع الإقرار بأن العالم الموريتاني يحمل في صدره حفظا عن ظهر قلب ستين حزبا من القرآن الكريم و مثلها من الفقه (مختصر خليل) وألف بيت في النحو (ألفية ابن مالك) ومثليها من الشواهد الشعرية والرجزية و عدة دواوين من الشعر وغيرها كثير.

إننا عندما ننظر في حياة الموريتانيين وطبيعتها ونوع الثقافة ومناهجها نطمئن كثيرا إلى دقة المعلومات المقدمة من الحفظ خاصة في مجال الأنساب ومصدرنا في هذه الثقة هو:

1. دقة هذا الحفظ وقوته أولا وهذا أحد ما يعتمد عليه في صحة الأخبار بل إنه أقوى معتمد عند المحدثين والإخباريين في صحة الأخبار.و هذا جزء كبير مما حررت في إطاره نظرية المعرفة عند المسلمين.
2. أنه منهج معرفي صحيح في الأمة الإسلامية عموما و في مثل هذه الحياة البدوية الراحلة خصوصا ثم هو معتمد في نقل الأنساب إذ ليس في الأمر إلا أن مجموعة تعرف بنفسها وتتحدث عن أصلها الذي تناقلته داخلها وروته أجيالها.وهكذا قررت الشريعة الاسلامية تصديق الناس في أنسابهم

   وإذا كان أصح كتاب في مصادر المعرفة الاسلامية هو صحيح البخاري وقد ألف في القرن الثالث الهجري من ذاكرة الحفاظ فكيف لا نقبل بذاكرة الحفاظ في الأنساب إذا قبلنا بها في بيان شرعنا الحنيف وحديث رسولنا الكريم.
3. أن نمط هذه الحياة هو أمثل نمط في عدم اختلاط الأنساب إذ إن كل مجموعة تربطها عصبية نسبية أو و لائية تكون في حيز جغرافي لا يخالطها فيه غيرها فتبقى كما هي دون اختلاط مما يبقي صراحة هذا النسب كما هو وهذا ما صرح به ابن خلدون في المقدمة حيث عقد له فصلا خاصا فيقول " الفصل التاسع في أن الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معناهم" وكلا الوصفين في موريتانيا ففيها العرب وما في معناهم من القبائِل الصنهاجية الراحلة و كل في القفر أيضا ؟ ومن هنا تكون أنساب الموريتانيين هي أصرح الأنساب مطلقا على هذا المعيار.

الشريعة الإسلامية و الأنساب:

نقل غير واحد عن الإمام مالك قوله إن الناس مصدقون في أنسابهم على ما حازوا وعرفوا به و كذا في فتوى عن الشيخ محمد الحسن بن الددو منشورة على موقعه أن الحيازة للنسب دون طعن فيه لمدة معينة يثبت بها النسب غير أن الأمر أشيع

مما يشكك فيه والذي قرأت بأم العين في كتاب : النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ

المؤلف: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: 386هـ) في ص 356 الجزء 14 قال " وقال ابن القاسم [عن مالك]: والناس في أنسابهم على ما حازوا وعرفوا به كحيازة ما يملكون. ومن ادعى غير ذلك كلف البينة وإلا حد."

علق المحقق على ما بين المعكوفين فقال "ساقط من الأصل"

أما الحسن بن موسى بيدي فينكر هذا الحكم إنكارا عظيما ولا يعترف به بل ربما إنه يجهله جهلا لأنه يتساءل عمن هم الأعلام الذين قالوا ذلك وفي مكان آخر من كتاب يتعجب ويقول لقد قرأت بأم عيني فتوى تقول إن من حاز نسبا عددا من السنين يثبت له وكأنه يشير إلى فتوى الشيخ محمد الحسن فلا ريب كان كتابه حافلا بما يوجب الحد عليه حد القذف.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ " الحديث صحيح على شرط الشيخين.

لعله صار من المعلوم أن هذا الكتاب كان سعيا من هذا الأستاذ لتحقيق انتساب لآل البيت، ووجود شرف من ناحية النسب لم يتمتع به الرجل زمنا، غير أن ظروفا وملابسات ولقاءات وأفكار جديدة طرأت على الرجل لأجلها غير رأيه قليلا ليضيف إلى هذه المهمة الشخصية مهمات أخرى قد أشرنا إليها فيما سبق، ومن ضمن هذه المهام الطارئة على ما كان مقررا في هذا السعي الجاد مهمةُ إِظْهَارِ كل الذين يتمتعون بشرف نسبي ورفعة حسبية في البلاد وكأنهم أدعياء عبر شيء من التهويلات و النظريات الفاسدة وقد أسلفنا الكلام بتفصيل عن هذه النظريات وبينا مدى تهافتها وأنها لا تغني من شيء في هذا المجال لا إثباتا ولا نفيا وهنا نتعرض لنماذج تطبيقية لتلك النظريات لنري القارئ الكريم كيف كان سلوك الرجل في ممارسته لهذه المهمة التي على ما يبدوا من طرحها أنها قادمة من رحم تلك المجموعة التي ذكرت أخبارها في المقدمة وليست صادرة باستقلال عن الأستاذ الحسن بل إن هناك من الفقرات ما يبدوا أنه مكتوب بأصابع لم تنبت في يده، وهذا شأن الكثير من فقرات الكتاب .

نفيه لنسب "لقوانين" قد سبق لنا أن أشرنا إلى الطريقة التي نفا بها الحسن نسب لقوانين وبينا ما فيها من محض تعمد الكذب في المعلومات التي قدم حول الموضوع فليرجع له هناك لأننا لا نريد لهذا الكتاب إلا أن يكون مختصرا ونضن بالوقت عن الإعادة والتكرار وقد بينا هناك أنه أنكر وجود علي بن الحسن بن علي وقد أثبتنا أنه موجود وبينا المراجع وقد استند الحسن في هذا النفي على أن ابن حزم في الجمهرة لم يذكر عليا بن الحسن بن علي فنفاه فعليه إذا أن ينفي وجود صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون فإنه لا وجود له عند أي نسابة أيا كان لا ابن حزم ولا غيره .

هذا وقد اعتمد النسابة على نفي نسب لكوانين على ثلاثة أمور:

فأولها أن عليا بن الحسن بن علي غير موجود وهذه كذبة يقابلها في نسخته أن صالحا بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن موسى غير موجود وهذا حق.

وثانيها أن زيد لا عقب له إلا من الحسن بن زيد وهذا صحيح لكنه لا يغني أمرا في السلاسل غير التامة وإمكان الانتقال من واحد من الأجداد البعيدين مباشرة إلى زيد بن الحسن.

وثالثها أن معقلا ليس في أبناء زيد الأول ولا زيد الحفيد وهذه كسابقها تماما فقد قلنا إن النسخة غير تامة فلا يبعد أن يكون معقل هذا رجلا بعيد في الزمن عن من نسب إليه وإذا رجعنا إلى نسخة الحسن نفسه فلا وجود لصالح بالنسب الذي ذكر على الصحيح ولا يوجد حبيب الله بن عبد الله بن صالح إلا في مرجع سنسميه قريبا ولا يوجد العائد الكناني إلا في المرجع المذكور وبعد العائد الكناني قال إن من أجداده هلال الدمشقي بن العائد الكناني وإنه بنا قصره في غانة عام 515 وهلال الدمشقي من أهل القرن الثالث وليس من آل البيت مطلقا فهو اسم مختلق لا أصل له فكل المعلومات مصدرها واحد وهو المرجع الذي أشرنا إليه آنفا وهو كتاب الحسن تاريخ كمبي صالح فمن أين جاء بها؟ سله فإن في الإجابة طرافة.

- نفيه لنسب "القلاقمة"

أورد الحسن للقلاقمة أربع نسخ يطعن فيها كلها وهي كالتالي

1	سيد يحيى القلقمي	سيد يحيى القلقمي	يحيى	
2	محمد	يوسف	محمد	
3	نمي	عمر	يوسف	
4	ملاي عثمان	محمد	يحيى التادلي	
5	ملاي أبوبكر	عثمان	عثمان	
6	سيد يحي	أبو بكر	يحيى	
7	عبد الرحمن	يحيى	أبوبكر القاضي	
8	ملاي أران	عبدالرحمن	يحيى	
9	ملاي أتلان	أران	عبد الرحمن	
10	ملاي أجملان	أتلان	أران	
11	إبراهيم	أجملان	أتلان	
12	ملاي مسعود	إبراهيم	أجملان	أجملان
13	عيسى	مسعود	سيد ابراهيم	إبراهيم
14	ملاي عثمان	عيسى	مسعود	مسعود
15	ملاي اسماعيل	عثمان	عيسى	عيسى
16	ملاي عبد الله	عبد الوهاب	عثمان	عثمان

17	عبد الوهاب		إسماعيل	إسماعيل	إسماعيل
18	سيد يوسف	يحيى	عبد الوهاب	عبد الله	
19	يحي	يوسف	يوسف	عبد الوهاب	
20	عبد الله	عمر	سيد	يوسف	
21	إدريس بن إدريس	عبد الله	يحيى	يحيى	
22		أحمد	عبد الله	محمد	
23		عبد الله	أحمد	إدريس بن إدريس	
24		إدريس بن إدريس	إدريس بن إدريس		

أخذ النسابة العجيب هذه السلاسل الأربعة ثم تتبعها واحدة بعد الأخرى متخذا طريقه "طريقة البقرة" سبيلا في نفيها فيقول لا يوجد يحيى بن عبد الله بن إدريس ولا يوجد محمد بن إدريس و أحمد بن إدريس مات بلا عقب وهكذا ثم لا يتعب هذا النسابة العجيب نفسه في النظر إلى كونها رواية شفهية وإلى مدى الاتفاق بين أسماءها و نوع الاختلاف فيها ونمط الأسماء إلى غير ذلك من الأدلة التي لو نظر فيها لأرشدته إلى قول يمكن معه تبرئته من الحقد والجهالة وما اتصف به علمه وفهمه من القلة و الضحالة تلك التهمة التي لا تصلح معها معلومة ولا تقوم معها للصدق قائمة والمهم أن الكلام في هذه النسخ كالكلام فيما سواها فلا جرم لا يعول عليه في نفي الأنساب إلا عند من صغر عقله عن التحقيق وتكاسل ذهنه عن التدقيق أسأل الله له العافية والتوبة مما هو فيه.

من فقراتنا اقرأ واضحك:

إن هذه الفقرة ليست من الفقرات الطريفة إلا عند الباحثين العلميين لأنها تقدم نموذجا من الكذب العجيب ثم التهافت في الترتيب والتسلسل للمعلومات مما يظهر أن الكاتب عريق في كل شيء إلا الأمانة العلمية.

تكلم الرجل عن أحمد بن إدريس الذي تنتهي إليه سلسلة لقلاقمه او واحدة منها فقال "قلت ذهب جمهور النسابيين إلى أن أحمد بن إدريس الأصغر لم يعقب" انظر صفحة 316 من الجزء الثالث.

هذه الفقرة يبين فيها الرجل أن جمهور النسابين قالوا إن احمد بن إدريس لا عقب له وهنا سوف ينتظر القارئ من هذا المؤلف فيما بعد هذه الفقرة أن يأتيه بأسماء هؤلاء الجمهور وكتبهم وعباراتهم الدالة على أنه لم يعقب .

غير أن الرجل لما لم يكن ما كتب صحيحا ولا دقيقا أراد أن يوسع الدائرة قليلا بشيء ليس منها في شيء فقال "و إن اختلفت عبارات كل واحد منهم في وصف ذلك"

هنا يفتح الرجل ـ بعبقريته في الكذب والتحايل على عقول العامة في الانساب ـ بابا يدخل منه إلى تحقيق هذا القول في نفي عقب أحمد بن إدريس فيدعي أن عبارات المؤرخين اختلفت في نفي عقبه والفكرة التي يحاول غرسها في القارئ هو أن الجمهور قال إنه لا عقب له لكن عبارتهم عن ذلك مختلفة وهذا من أجل ألا يتفطن احد إلى التناقض بين ما نسبه لجمهور المؤرخين و بين ما سينقله عنهم من فقرات مستدلا بها على هذا الزعم الكاذب، وأنا احلف له بالله العظيم لن يفلت مما يخاف منه و لسوف تنكشف كل محاولاته الفاشلة لقتل الحقيقة.. ما عليك إلا أن تتابع معي قليلا

ثم قال "فمنهم من يتجاهله فلا يذكر أمعقب هو أم لا؟ وذلك كالإمام بن حزم " والسؤال الطريف الذي نطرحه على الحسن وأين التجاهل وعدم الذكر من نفي العقب يا ترى؟ إن التجاهل أو عدم الذكر لا يعني إلا جهلا بالرجل وبعقبه اللهم إلا على دين الهوى و شهوة نفي الانساب .

هذا أول طرف يتكشف من فضيحة الرجل في هذا المقام ثم يقول " ومنهم من يعده مع غير المعقبين كالإمام الفخر الرازي" هنا يحكم هذا الرجل أن الفخر الرازي ذكر أحمد وعده في غير المعقبين وسوف يعتقد القارئ الكريم أن هذا صحيحا أي إن الفخر الرازي قال ذلك حقا وأنا أحلف للقارئ الكريم ما أنزل الله بهذا من سلطان كما سيتبين فإنك إذا جئت لكلام الفخر الرازي لن تشم لهذا الحكم رائحة ثم تضحك عندما يعلق الحسن نفسه على الفقرة يقول في الصفحة 317 من الجزء الثالث طبعا وهو يعلق على كلام الفخر الرازي"والملاحظ هنا أن أحمد لم يذكر ضمن المجمع على عقبه ولا المختلف فيهم مما يؤكد أنه لا عقب له" و محط العجب مسألتان في هذه الفقرة :

الأولى: هي الصفاقة عندما لا يستحي هذا الرجل من الكذب أولا ثم التناقض ثانيا؛ فبعد أن نسب للفخر الرازي أنه عد أحمد في غير المعقبين قال أنه لم يذكره لا في المعقبين ولا في غير المعقبين فاقرأ واضحك.

والثانية: هذا الذكاء العجيب الذي يجعل النسابة الحسن بن موسى بيدي يفهم من عدم ذكر الفخر الرازي لأحمد كونه ليس معقبا وكأن الفخر الرازي عندما لا يذكر الانسان في مؤلفاته يصاب ذلك الانسان بالعقم حتما فيا سبحان الله أين العقل.

وهنا تعرضنا لرجلين من هذا الجمهور الذي يقول هذا الكاتب في الأنساب أنهم قالوا إن احمد لا عقب له ثم نأتي إلى الثالث من هذا الجمهور وهو بن عنبة فيقول "فأعقب إدريس ..... من ثمانية رجال " ثم يعدهم ثم يقول "وقد قيل أنه عقب من غير هؤلاء أيضا "

وأين في هذا النص أن أحمد بن إدريس لا عقب له يا ترى؟

هذا ثالث رجل من هذا الجمهور المذكور الذين اختلف عباراتهم في نفي عقب احمد بن إدريس على حد تعبير هذا النسابة العجيب.

فماذا بقي من هذا الجمهور؟ الجواب أنه بقي رجل واحد من المتأخرين اسمه ضامن بن شدقم الحسيني ينقل عنه الحسن فيقول "فإدريس الثاني خلف اثني عشر ابنا أحمد وابا عبد الله ومحمدا ....وعقبهم اثنا عشر دوحة"

سوف يتفاجؤ القارئ الكريم من قول الحسن إن أحمد لا عقب له ونسبته ذلك إلى جمهور النسابين عندما أقول له إن الدوحة الأولى التي عدها بن شدقم هي دوحة أحمد هذا الذي لا عقب له فهل يكون لمن لا عقب له دوحة؟ فاقرأ و اعجب. ينقل الحسن نفسه عن بن شدقم قوله:

"الدوحة الأولى عقب أحمد قال المريكي قدم إلي .... في أيام نقابة محمد بن الحسن بن القاسم وبيده كتب تتضمن أنه ابن إدريس الثاني وأن مسكنه في بلدة قبس من أعمال الأندلس وأنهم يكاتبون بني حسين بالحجاز وقد كتبوا في المشجرات فصح نسبه فعارضه أيوب ... الرقي بعدم الصحة وأن ليس من العلويين أحد بالأندلس فلم تثبت معارضته له وبالجملة إن أحمد مات منقرضا"

هكذا كتب الحسن نقلا عن بن شدقم ولعلك تلاحظ خاتمة هذه الفقرة وهي قوله "وبالجملة إن احمد مات منقرضا" ومدى تناقضها مع أول الفقرة ووسطها حيث إن في أول الفقرة يقول "الدوحة الأولى دوحة احمد" .

وبهذا يتبين لك أن تلك الخاتمة إما أن تكون من صنع الحسن وليس من كلام بن شدقم كما هو واضح من التناقض بين مضمونها ومضمون الفقرة فهي تقول إن أحمد لا عقب له وأول الفقرة بيان الدوحة الأولى وهي عقب أحمد وبهذا تعلم مدى كذب هذا النسابة العجيب.

وإما أن تكون من كلام ابن شدقم فيكون ابن شدقم نسابة متناقض من جنس هذا النسابة الذي بين أيدينا فلا عبرة بأقواله على انه متأخر فلا يغني كلامه مع هذا التناقض من الحق شيئا.

يدلنا أمر آخر على أن الحسن وضع هذه العبارة في كلام الرجل وهو أنها ليست جارية على الأفصح فلا يسوغ في التراكيب الأفصح "وبالجملة إن" دون فاء التعقيب والأفصح أن يقال "وبالجملة فإن" وهذا التعبير مواز لمستوى الحسن الثقافي في اللغة العربية يبعد أن يكون من تعبيرات رجل مثقف.

أمر ثالث يدلنا على أن هذه العبارة من صناعة الحسن وهو أنها وردت بعينها في نفس الصحفة (318) عند قوله "ومن المنتسبين إلى أحمد بن إدريس أبناء سيد يحيى التنواجيوي فإنهم يزعمون الانتساب إلى أحمد بن إدريس" ثم قال "وبالجملة

إن احمد بن إدريس رحمه الله مات منقرضا" فورود هذه العبارة هنا بذاتها دون جعلها بين مزدوجتين تدل على أنها من كلامه هو وورودها قبل في فقرة منسوبة لابن شدقم مع تناقضها في المعنى مع تلك الفقرة يدل على أنها ليست من كلام بن شدقم فلم يبق إلا أن تكون من صناعته وهكذا تصنع الأكاذيب عند الذين لا يتقون.

هنا تنتهي أضحوكة نفي الجمهور لعقب أحمد بن إدريس التي يحاول الحسن بها نفي نسب لقلاقمة وتنواجيو وختامها هذه الدسائس في كلام المؤلفين فهل يثق عاقل بعد هذا في كلام هذا الرجل؟ الجواب لا إلا إذا كان غبيا وهل يثق في دينه الجواب لا فلا دين مع الكذب والخيانة في العلم.

ولا بد قبل مغادرة هذا الموضع أن ننبه على بعض المعلومات حول نسب قبيلة تنواجيو من مصادر أكثر وثوقا مما بين يدينا من كلام هذا النسابة العجيب .

تعرض المستعمر المفرنسي بول مورتي لنسب قبيلة تنواجيو في كتابه القبائل البيظانية في الحوض والساحل فذكر شرفهم ثم خلط تخليطات كثيرة وادعى أن هناك أصولا متعددة تتألف منها القبيلة أولها إلى أربعة أصول تقريبا غير أن الأستاذ والمؤرخ محمد محمود بن ودادي الكنتي علق على هذ التخليط فقال "توضيحا للخلط الواضح بين أصول القبيلة الذي أورده المؤلف يجدر بنا أن نذكرأن قبيلة تنواجيو يجمعها الجد سيدي يحيى بن إدريس بن زكرياء بن منصور وقد ذكر سلسلة نسبه أبوبكر السيوطي في الكتابة عن أنساب بعض الصحابة وبعض الشرفاء الأدارسة وغيرهم فذكر سلسلة نسب الجد الثاني لسيد يحيى حتى أوصلها إلى لأحمد بن إدريس الصغير بن إدريس الكبير بن عبد الله الكامل على الصفة التي نقلها صاحب الكتاب ونقلها عنه أهل ودان " ثم قال "وهنا ينبغي التنبيه إلى أن مجموعات من الشرفاء الأدارسة وصلت إلى السوس في القرن الرابع الهجري بعد سقوط دولة الأدارسة و من بينها مجموعة من نسل أحمد بن إدريس الصغير واستمرت إقامتها هناك إلى زمن متأخر فرجع البعض إلى فاس مقر الأدارسة الأصلي وبقي البعض بالسوس إلى الآن وخصوصا في الناحية الجنوبية الموالية لحدود صحراء الملثمين (ولتنظر لذلك مؤلفات الشريف المختار السوسي كالمعسول...) بهذه المعلومات الواردة من طرف باحث مثل محمد محمود بن

ودادي ينسبها للسيوطي والشريف المختار السوسي تستغني عن أباطيل الحاقدين الذين اتخذوا من الكذب منهجا للبحث.

لكن هل تستغرب أيها القارئ من هذا التحريف المتعمد والدس والكذب والإيهامات التي لا أساس لها من الصحة؟ لا تستغرب سوف أروي لك قصة يتصاغر لعظمها كل ما سبق من الأكاذيب.

حدثني الشيخ المقرئ محمد الحسن بن سيد محمد المعروف بـ"إزيد بيه" شيخ محظرة لكويسي مؤلف كتاب النبراس وكتاب أساس النبراس وكتاب الخل الأثير في قراءة ابن كثير وكتاب دليل قراءة البصري وغيرها من المؤلفات الهامة في مجال القراءات وكان ذلك بحضرة شيخنا وأستاذنا سيد محمد بن محمد بيه في بيت هذا الأخير بعجمان كان يوم جمعة قال الشيخ قدم إلي بدبي فطلب مني أن أكتب له شيئا في شرف أهله قال الشيخ فقلت له أنا لست مؤرخا وكتابتي في هذا الموضوع لا تفيدك شيئا لكن اقترح عليك أن تأتي قومك وأهلك وتقنعهم بهذه الفكرة فإن اقتنعوا بها كان ذلك كافيا وصار بإمكانك وقتها أن تكتب فيه أما وإنهم لا يزعمون الشرف ولا يزعمون الانتساب في غير فوته فلا أرى أن تكتب فيه.

قال وسألني عن المجموعة فقلت إننا ننتسب إلى سيد محمود .. بن الفغ وننتمي إلى قبيلة إدوعل غير أننا لم نكن نعرف من أفخاذهم من هو الأقرب إلينا وقد تواصلنا مع بعضهم فذكر أن هناك أربعة فروع يجمعها الفغ .

قال وقدمت له هدية بقيمة "500" درهم لمحل قرابته من الأبناء ثم بلغني أنه كتب في كتابه أني قلت إن جماعتنا لم تكن تعرف نسبها حتى قدم ضيف من السلطة على القرية فسمع شخصا ينادي طفلا باسم "الفغ" فقال المسؤول الحكومي من أين لكم هذا الاسم فقالوا هذا جدنا الأعلى فقال وهذا جدي أيضا فأنتم أبناء عمي قال الحسن فمنذ ذلك الوقت صرنا ننتسب لإدوعل .

قال الشيخ وهذا كلام لا أساس له من الصحة والذي وقع هو ما ذكرت لك وما ذكره من قصة المسؤول الحكومي هو أنه قدم إلى مدينة النعمة رئيس محكمة زارنا في بعض الأحيان قال إنه من تلك الفروع التي يجمعنا معنا الجد الأعلى.

قص الشيخ علي القصة ثم طلبت منه إعادتها علي لأتأكد منها ولأضبطها ضبطا.

فانظر أعاذني الله وإياك من الكذب أليس يقول الله سبحانه وتعالى (إن الذي يفترون على الله الكذب لا يفلحون) ألم يذم قوما كُثْرًا بمجرد سماع الكذب فقال (سماعون للكذب أكالون للسحت) فما بالك بصناعته؟! ألم يَعُدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب إحدى خصال ثلاث للمنافق؟! انظر إلى هذه السلفية التي يدعيها الحسن وهذه السنة؛ كَذِبٌ وتلفيق وسرقة و طعن ولعن وتكفير ... إلى ما هناك كل ذلك لنصر السنة (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ).

- نفيه لنسب تنواجيو وايداب لحسن

لا يعتمد الحسن في نفيه لنسب هؤلاء الخيرين من ساكنة بلادنا الغالية غير ما قدمنا من الأكاذيب والعبارات المتهافتة وآخر ما قدم في ذلك هو طعن في نسب القبيلة بأسماء عجمية وردت في بعض أفخاذها وقد أوردنا ذلك وما يفنده قبل قليل فراجعه هناك.

- نفيه لنسب شرفاء تيشيت آل الشريف عبد المؤمن

أذكر القارئ الكريم أن هؤلاء الشرفاء من أظهر الشرفاء الموريتانيين نسبا وأكثره شيوعا على ألسنتهم منذ نشأتهم وهذا عندنا هو الأهم ثم على ألسنة الأكابر من العلماء والعارفين والنسخة كما أوردها الحسن ليطعن فيها وكما وقفت عليها في بعض المواقع

عبد المؤمن بن صالح بن عبد العالي بن جعفر بن إسحاق بن يحيى بن مالك بن يوسف بن القاسم بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

ولا تختلف طريقة الحسن السالفة فهو يقول باختصار شديد " فعمود النسب الذي زعمه عبد المؤمن بن صالح والذي ينتهي إلى يوسف بن القاسم لم نجد له ذكرا في كتب الأنساب ولم ينص عليه مؤرخ سوى نسابة البضان ومصدرهم في ذلك عبد

المؤمن وذريته وبهذا يكون عبد المؤمن وأبناؤه هم أول من سن سنة الأدعياء في بربر صنهاجة الرمال ..."

وأنا أسأل الحسن ألم يقل في أكثر من مكان من كتابه هذا عندما يتعلق الأمر بأنساب "كان" و "كن" أن الناس مصدقون في أنسابهم أم إن هذا المعيار لا يصلح هنا أقول للحسن إننا نصدق عبد المؤمن وأبناؤه فيما انتسبوا إليه كما نصدق كلام جدك ـ الذي انتحلته كذباـ العلامة صالح بن عبد الوهاب وكافة الفقهاء والعلماء في بلادنا في شأن شرف هؤلاء ثم نرمي بكلامه هو إلى الجحيم ولا يهمنا ما إذا كان للقاسم بن عبد الله ابن اسمه يوسف وليكن عقيما بل إن شاء فليكن غير موجود أصلا نحن نتمسك بشرف القوم وانتسابهم إلى البيت الإدريسي كما زعموا وكما لم يرد ما ينفيه إلا ترهاتك التي تتشدق بها ولا نقول هنا إلا جزى الله خيرا الشريف الإدريسي (عبد المؤمن) حيث حمل إلينا علوم القاضي عياض بشفائه ... وباقي علومه فجزاه الله خيرا. وأما تمخرقاتك فقد اطلعنا عليها (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا)

- نفيه لنسب إد واعلي

يبدأ الرجل نفي نسب هؤلاء الخيرين بعملية تكفير لرجلين من الأمة الإسلامية فيقول في الصفحة 310 من الجزء الثالث "و أما الخامس وهو الأدهى و الأمر أن يتقبل العلامة سيد عبد الله رحمه الله كلام هذين الزنديقين بل ويقوم بإطراء لحبيب بن المختار و يصفه بأنه ولي من أولياء الله قد بلغ القطبانية مع أن الحبيب هذا قد خرج من الملة وذلك بأمره الناس إلى دعاء غير الله عند الشدة و الحاجة..." انتهى بحرفه و أستغفر الله من نقله .

ثم يقدم كلاما يعضد هذا النسب خلافا لما يرجوا منه فيقول إن في الجمهرة لابن حزم أن يعقوب المذكور في السلسلة العلوية هو يعقوب بن يحيى بن محمد وليس يعقوب بن يحيى بن يحيى وهذا الكلام صحيح موجود في الجمهرة وقبل ذلك يقول إن في الجمهرة يعقوب بن يحيى بن محمد وليس يعقوب بن يحيى بن يحيى بن محمد بن إبراهيم بن عيسى وهذا أيضا كسابقه صحيح فهو موجود في الجمهرة

وهذا ما يعضد عندنا هذه النسخة تعضيدا كبيرا حيث إن الخطأ قد يقع في الأسماء تكرارا ونقصا غير أن النسخة قد بقيت تنسب أصحابها إلى الشرف من جهة سليمان بن عبد الله الكامل فلا مضرة.

- نفيه لنسب "أولاد بسبع"

يبدوا أن النسابة العجيب من هنا مل من تكرار أسطورته الأولى فلجأ إلى كلام أشبه ما يكون بكلام المجانيين قال "ورغم المصادر التي اعتمدوها فقد قرأت عن ذرية محمد بن إدريس الأصغر في مصادر متعددة ومراجع معتمدة ولم أقف فيها على ذكر لمسمى أبناء أبي السباع في ذريته ولم نجد اتصالا لهذه السلسلة التي اعتمدوها في نسله " ثم يهول فيقول "رغم البحث الحثيث وعليه تبقى دعواهم الانتساب إليه مجرد دعوى تحتاج إلى بينة تثبتها"

فهو يريد أن يجد اسم أبناء بني السباع كقبيلة في أبناء محمد بن إدريس وما لم يجد هذا الاسم لن يكون بالنسبة له نسبهم صحيحا وهكذا يلبس على العامة بمثل هذه الأضاحيك إن البحث العلمي ليصرخ من تمخرقات هذا الرجل.

- نفيه لنسب أهل ملاي الزين واهل شيخنا حماه الله

ثم يأتي إلى نسب أهل ملاي الزين راجعا إلى ضلاله القديم فيقول "وإليك نسب الدعيين ونبدأ بعمود نسب مولاي الزين كما أورده الشيخ محمد الإغاثة ونصه:

أهل ملاي الزين هذه نسختهم اخذتها على ما عندي من سيدي عال بن مولاي احمد وغيره كتابة ومشافهة ومن كتابة العالم المعروف عبد الله بن الإمام الجكني .

الشيخ سيد عال بن مولاي احمد بن سيد احمد بن سيد جعفر بن سيد عال بن سيد محمد بن ديد "سيد جعفر" ابن ملاي عبد الله ابن مولاي الزين بن احمد الذهبي بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله التلمساني بن محمد بن احمد بن علي بن يحيى

بن علي بن محمد بن القاسم بن حمود بن ميمون بن احمد بن احمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس الأصغر "المحض"

قبل إيراد الرجل لهذه النسخة يقول "انتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب والزور والبهتان:

أهل ملاي الزين وأهل سيدي الشريف رهط الشيخ حماه الله حيث انتسبوا زورا وبهتانا إلى عمر بن إدريس بن عبد الكامل ... ويلتقي عمود نسب الدعيين ملاي الزين و سيدي الشريف عند علي المنسوب زورا إلى محمد بن القاسم بن حمود بن ميمون"

هذه هي عباراته و لا أظن أنه يُحسن غير هذا لقد لطخ الأسلوب العلمي بمثل هذه العبارات البذيئة التي تقع عليه قبل أن تقع على غيره .

ثم يعود إلى طريقته في النفي ليقول أنه ليس في أبناء محمد بن القاسم من يدعى بعلي والدليل هو أنه لا يوجد في الجمهرة و لا جديد في هذه الأسلوب فهو أسلوب لا قيمة فيه في نفي أو إثبات الأنساب ولو أن صاحبه طبقه لنفى نسب نفسه قبل أن ينظر إلى غيره فلم يذكر بن حزم صالحا الذي يدعى الحسن أنه جده بل لا وجود له بالسلسلة الذي أوردها ولكنه لفق نسخة من صالح (العم) بن عبد الله وصالح بن موسى فجعل من بين هؤلاء نسخة بمجرد التحكم والهوى وأما ما بعد صالحا فأتحداه أن يأتي بواحد من جميع الرجال الذي ذكرهم بعد عبد الله بن صالح في أي كتاب كان والمهم أنه لا عبرة بكل ما يقدم الرجل في هذا الموضوع فمن نفاه فذلك أكثر دلالة على صحة نسبه من دلالته على عدمها فما هو إلا كما يقول القائل (وإذا أتتك مذمتي من ناقص فتلك شهادة لي بأني كامل) وأما ما يذكره من البحث الحثيث و "طالعت جميع الكتب" و "نظرنا فلم نجد" ونحو ذلك كلها تهويلات تتبعنا ذلك البحث فوجدنا بحثا ليس موفقا ولا محققا وصاحبه لا يفهم ما يقرأ ويظلبه هواه ويقول ما لا وجود له وينفي ماهو موجود وقد بينا من ذلك ما فيه كفاية فلا يبقى من تلك التهويلات إلا جسمها وألفت انتباه القارئ الكريم إلى أن هذه التهويلات موجودة دائما في أجناس مدرسة الحسن التي يأخذ عنها كل مبناها على الشكل دون المضمون وعلى اللفظ دون المعنى فتأمل.

- نفيه لنسب كنته

لم يجد النسابة الحسن سبيلا إلى جعل قبيلة كنته القرشية الفهرية ضمن القبائل التي نفى نسبها في كتابه وذلك بفعل المراجع التاريخية التي تناولت نسب القبيلة خاصة التحقيق الأخير للرسالة القلاوية للدكتور حماه الله بن السالم البصادي وما جاء فيه من تحقيقات كانت في غاية الحيادية والدقة في أكثر معلوماتها و كذلك شيوع نسب القبيلة بين العام والخاص وارتباط الاسم باسم قريش دون غيرها من القبائل التي تنتسب فعلا إلى عقبة بن نافع أو غيره من قريش و دون أي طاعن بالرغم من أنها لم تقدم إلا رواية شعبية شأن كل القبائل التي تعرض لها كان كل ذلك حائلا بينه وبين جعلها ضمن القبائل و الأشراف الذين تناول نسبهم بيد أن الحسن كان يسحب قاعدته على كنته في أحاديثه العامة من ذلك أني في ثاني لقاء جمعني به سألته ما رأيه في "كنته" فحدثني بنفس المنطق الذي في الكتاب فقال إني لم أتعرض لها لكني أقول إن هذه المنطقة لا يسكنها إلا الأصناف التي ذكرت ولا وجود لقريش هناك .

بعد ذلك تحدثت معه في الموضوع فقال إن بول مورتي قال إنهم من زناتة وكذلك رجل سماه من المؤرخين الحديثين فقلت له هل استند هذا المستعمر النصراني عندما أورد المعلومة على دليل أو أحال على كتاب أو قدم شيئا قال لا فقلت فصاحبه الثاني هل قدم دليلا على ذلك فقال لا قلت إذا ما الفرق بين هذا و النعيق فقال إن كنته تقول إن آخر أجدادها "يعقوب" ولا يوجد يعقوب في أبناء عقبة بل إن عقبة بن نافع لم يترك من الأولاد إلا أبا عبيدة فحرت في مدى جرئت الرجل على الكذب فأخرجت له مما جمعت من كتب التراجم والأنساب ما يناهز الخمسة من أبناء عقبة بن نافع وكان بحضرة أستاذه أبا عمر بن اقريبيز فهز رأسه ثم قال هذا جيد إننا لم نجد من يرد علينا بالمراجع والصفحات والأجزاء سواك لم نجد من يرد علينا إلا ببعض الحكايات وانتهى الموضوع هناك وتبين لأبي عمر مدى ضعف نسابته الذي يرمي به في جحيم الكذب و الطعن في أنساب الناس.

وهنا اجعل خاتمة هذه الفقرة مثالا لجميع الأنساب الموريتانية وطريقتها في هذا النقل ألا وهو نسب كنته فلا نعلم من بداية التاريخ إلى هذا الوقت من طعن في نسبة كنت إلى عقبة بن نافع قبل بول مورتي الفرنسي المستعمر ولم يقدم في ذلك

أمرا ورغم الاتفاق التام على نسب هذه القبيلة فإن النسخة لا تعدو رواية حفظها الناس وتناقلوها:

لا شك يطرق أحدا من أن الشيخ سيد احمد البكاي المتوفي بولاته حوالي سنة 920 هـ جد كنته جميعا ولا خلاف في أن أباه الشيخ سيد محمد الكنتي الكبير من عند هذا الرجل يقدم كنته رواية مفادها أن الشيخ سيد محمد الكنتي بن سيد اعلى بن سيد يحيى بن سيد عثمان بن عمرو الملقب سيد دومان بن عبد الله الملقب يهس بن شاكر بن يعقوب بن العاقب بن عقبة بن نافع الفهري.

وإذا نظرنا بالحساب الزمني التاريخي الذي اعتمده النسابون في النظر في السلاسة نجد أن هذه النسخة فيها سقوط كبير حيث أن تاريخ وفاة سيد محمد الكنتي الكبير هو مابين 820 إلى 830 هـ فعلى هذا نكون بحاجة إلى واحد وعشرين أبا لتغطية هذه الفترة وليس في النسخة سوى عشرة فالظاهر أنهم اقتصروا على عد الأجداد مما تذكروا اسمه بالشهرة أو لقربه ونسبوا الأخير حسب الشهرة إلى الجد الأعلى وهو عقبة بن نافع الفهري وهذا أمر عادي وطبيعي في مثل هذا النوع من الروايات.

ولا يقدح كما قدمنا في نسخة بن خلدون وفي النسخ التي ينكرها الحسن لضعف اطلاعه على أطراف ونظريات هذا المجال لكن عندما نريد أن ننظر في هذه النسخة من الناحية العلمية ليس لنا من سبيل إلى ذلك إلا الانطلاق من فرضية أن هذه النسخة صحيحة من حيث الأساسيات ثم نبحث في المراجع والمخطوطات وكل المدارك التي من شأنها أن تكذب أو تصدق هذه الرواية.

ثم ننظر في الحالة الاجتماعية و نمط الحياة والعلاقات الاجتماعية للقبيلة والمكانة والسلوك لعل شيئا من ذلك يدلنا على تكذيب أو تصديق هذه الرواية.

ثم ننظر في المواقع الجغرافية والمنازل عبر تاريخ القبيلة عل ذلك يدلنا على معلومات في الموضوع.

إن تحقيقا كهذا يمكن أن يقود الباحث إلى موقف يستند فيه إلى أدلة تقنع أو تقترب من الإقناع أو على الأقل يوثق بها حتى و إن كان سلبية ما عدا هذا لا يكون إلا كلاما وهذرا لا قيمة له أما إضافته إلى علم الانساب فذلك أمر تلزم منه الكفارة.

ولقد مضيت أياما كثيرة وأعوام مدينة لا يهمني ممن تكون كنته بل أنسى أحيانا أني ذو قبيلة لكثرة ملازمتي للمدينة و لملازمتي للأفراد الصحوة الاسلامية حتى كدنا ننسى هذا الأمر جملة حتى أيقظه الحسن بن موسى بيدي ورهطه فينا فحدى بنا ذلك إلى للاطلاع وقد كنا ننظر إلى هذه الرواية على أنها رواية شعبية يعتمد عليها في الأنساب لكن لا على معنى أنها لا يجوز أن تكون غير دقيقة بل إن فيها فصولا كثيرة وزيادات من وضع العامة لا نشك في أنها ليس صحيحة مطلقا أما الآن فإن احتمال كذب هذه الرواية عندنا أصبح احتمالا ضعيفا إلى درجة واحد بالمائة تقريبا وهذا الشأن قد يحصل للكل الروايات الشفهية التي قدمها القبائل الموريتانية في أنسابهم إذا تتبعناها بالبحث والمطالعة إن الأمور الذي ضعفت عندنا احتمال كذب الرواية الكنتية هي:

أولا : اننا نظرنا في الرواية الشفهية فوجدناها منقولة عن الأب الأكبر للقبيلة فهي قديمة بقدم القبيلة وليدة معها تماما ثم نظرنا فوجدنا الاتفاق حاصل عليها رغم تباعد أطراف القبيلة واختلاف الدولة التي تعيش فيها "النيجر، الجزائر، مالي، موريتانيا، المغرب، ليبيا" فما وجدنا أحدا في أي بقعة من هذه القبيلة إلا ويعرف الرواية ذاتها ويعرضها دون خلاف.

ثانيا:نظرنا فوجدنا الاعتراف بهذه الرواية زائد حيث إن اسم قريش مرتبط باسم كنته على ألسنة العامة والخاصة دون أي مجافات فلعمري إن كانت كذبة لقد رسخت حتى لكأن الكذب هو كل ما سواها.

ثالثا: نظرنا في المكانة الاجتماعية فوجدنا مجدا تليدا ورفعة لا ينكرها أحد أيا كان فلا جرم لا بد أن تكون تلك الرفعة حاصلة إما من مال مبذول أو من سلطان قاهر أو من علم غزير أو من نسب تليد فأما المال فليس هذا المجد الكبير بالذي يحصل بمجرد المال فقط إن هذا مجد قبيلة والمجد الذي يبنيه المال امجاد الأفراد وأما السلطان فلم يكن لكنت سلطان بل لم يكن في هذه البلاد كلها سلطان على الحقيقة وأما العلم فإما أن يكون علمها في أول نشأتها ووقتها لم تكن قبيلة بل أسرة فلا يصدق عليها هذا الوصف وإما أن يكون في العهود التي أصبحت فيها قبيلة وليس في تاريخها للأسف كثير علماء بالقدر الذي يبني مجدا كما هو في بعض القبائل

الأخرى فلم يبق إلا أن يكون هذا المجد قد حصل من النسب التليد في القرشية الفهرية كما في الرواية الشفهية.

رابعا: نظرنا في زمن الدعاء هذا النسب فوجدناه في أيام لا يدعي فيها احد نسبا وفي أيام كان كل الناس متمسكا بأصله يصارع من أجل البقاء والغلبة وليست ثمة حاجة إلى ادعاء انساب لا وجود لها وينص الدكتور حماه الله السالم على أن ظاهرة الدعاء الانساب إنما أثارها في موريتانيا قضية الوقف في المملكة العربية السعودية فهذا زمن متأخر على هذا الزمن.

خامسا نظرنا في نمط الحياة فوجدنا قبيلة ضخمة يلتف حولها الكثير من القبائل والناس والأسر ولم يسجل التاريخ أي حادثة من اختلاط في النسب بأي من هذه القبائل مع أبناء الشيخ سيد احمد البكاي الكنتي على الإطلاق فكيف جرى ذلك هل تظن أنه جرى صدفة الجواب لا لم يجر صدفة إنما جرى لما ترسخ في أذهان الكنتيين من النسب القرشي الفهري والحفاظ عليه من الاختلاط بغيره من القبائل العربية أو غيرها يذكر أن هذه الكثرة الكاثرة هي التي أدت بالمستعمر بول مورتي أن يقول إن رواية كنت عن نفسها غير صحيحة حيث اعتبر أنه من المستحيل أن تكون قبيلة عمرها أربعمائة سنة تقريبا تكون على هذا العدد وذلك ظنا منه بأن كل المسمى هو من ذرية الشيخ سيد احمد البكاي الكنتي والواقع أن كنته بهذا المفهوم قليلة جدا .

سادسا نظرنا إلى سلوك القبيلة فوجدنا سلوكها يختلف تماما عن سلوك فريقين رئيسيين هما العرب الذي تميزوا بالصولة والبطش والهيمنة والصبغة العسكرية المجردة وبعض الزوايا الذين تميزوا بالتجرد للعلم والتدريس دون أن يرفعوا سلاحا اكتفاء بالجانب الأسلم في الحياة الدينة والدنيوية فوجدنا كنته مشاركة في المجالين على حد سواء ؛ حلف عسكري قوي وجناب لا يحام حوله مع وداعة وسلامة وتغليب لجانب الخير دائما ومشاركة في العلم والإرشاد الديني وإذا عرفت أن المعنى الذي جعل بعض الزوايا يشتغل بالعلم فقط هو تحصيل المكانة العلمية بعدما ذهبت مكانة السلطة وأن المعنى الذي جعل العرب يقتصرون على المجال العسكري فقط هو ديمومة السلطان والهيمنة عرفنا أن هناك معنى ثالثا جعل كنته تنتهج هذا النهج الجامع وما ذلك المعنى الثالث إلا ما يعرفون من

أنفسهم ويعرفه حلفائهم من الرفعة في النسب التي لا تسمح لصاحبها بالدخول تحت السيطرة بمعنى القهر والغلبة و إلا ما يقومون به من القيادة الرشيدة الذي لا يستغني صاحبها عن علم و أدب وهذا شبيه بمن كان أجداده ولاة للخلافة على المغرب وفتحوه جهادا في سبيل الله و أجداث أجدادهم في كل هذه البقاع يساعدنا على إقرار هذا المعنى ظاهرة أخذ الزكاة من الحلفاء مما يدل على أن العلاقة هنا ليست علاقة متمحضة في العسكرية ولا الهيمنة حيث تفرض الضرائب وإنما هي علاقة تشبه نظام الدولة الاسلامية في التعاقد على دفع الصائلين وتقديم الفروض في المال لمن يقوم بالقيادة عونا له على ذلك من هنا عرفنا أن القوم لا شك امتداد لولاة كانوا هناك أو هذا ما يظن ظنا قريبا من العلم.

كل هذه المعطيات ساعدت في بناء شبه يقين على صحة تلك الرواية الشفهية وهي نموذج واحد من جميع الروايات ولا أشك الآن في أن أغلب الروايات الشفهية التي يقدمها الموريتانيون هي سند معتمد في الأنساب لا ينتفي إلا بما لا يبقى معه أي شك من أي وجه كان،وهذا بمثابة خلاصة حول كتاب هذا الرجل فإنه و إن كان قد رمى من خلاله إلى هز الثقة في أنساب القوم فقد زادنا فيها يقينا و ألفت انتباهنا إليها بعد ما كنا عنها غافلين وهذا هو الشيء الإيجابي الوحيد في هذا الكتاب العجيب.

﴿وإن من الشياطين ليوحون إلى أولياهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾

خاتمة: هذه بينة تقدم وتدل على ما خلفها دلالة البعض على الكل ونحن إنما نقدمها صاروخَ اعتراض لتلك الأفكار التي قدمها أولئك الرهط في كتاب "تاريخ كمبي صالح" في سماء العقول الموريتانية حتى لا تبقى أجواءها عرضة لكل حائم من الصقور المفترسة من ذوى الأفكار البائسة التشددية مما هو غريب على الساحة الفكرية الموريتانية هنا أؤكد على أني متمسك بحق الدفاع في هذه المرحلة و لن أسمح بأي حائم يحوم في سماء العقول المورتانية إلا حائما منطلقه الولاء لله ولرسوله و للمؤمنين متسما بالاعتدال نابذا للعنف والتطرف إن تلك العقول و إن كانت تعيش في أوطان غير أوطانها فإنها وإن اغتربت عن المنازل والأوكار فإنها لن تغترب عن الثقافة والأفكار ذلك أن المنازل تعجزها المسافات وأما الأفكار فقاهرة للآفاق تتحدى البعاد ومسافات البلاد.

إن الشيء الذي ألتمسه من الحسن بن موسى بيدي ومعلمه أبو عمر بن اقريبيز أن يوقفوا ثلاثة أمور وليكتبوا بعدها ما يكتبوا.

1. أن يوقفوا مضامين التشويه للوطن الحبيب .
2. أن يوقفوا بث الأفكار التطرفية في المغتربين الموريتانيين خصوصا
3. أن يوقفوا الترويج للفتنة بين المورتانيين إن الموريتانيين أمة واحدة اختلاف اعراقها مصدر قوتها وثرائها.

عندها لا يهمنا ماذا تكتبون ولن نرد على أحد منكم فيما اقتنع به من أفكار أو انتحله من مذاهب (و ما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون) أما إن حصل واحد من هذه الثلاثة فلا تسألوا عما سنكتب في تفنيده وتفكيك مضمونه بدئا بغطائه الزائف وانتهاء بمخه المتعفن ولن ينفعكم الدخول في الجحور السلفية فإنه لا يعجزنا انتزاعكم من تلك الجحور دون أن نمس من الصواب شيئا إنه لا يختلط علينا الصواب من الخطأ ولا السلفي الحقيقي من المنتحل.

والسلام على من اتبع الهدى.

2012